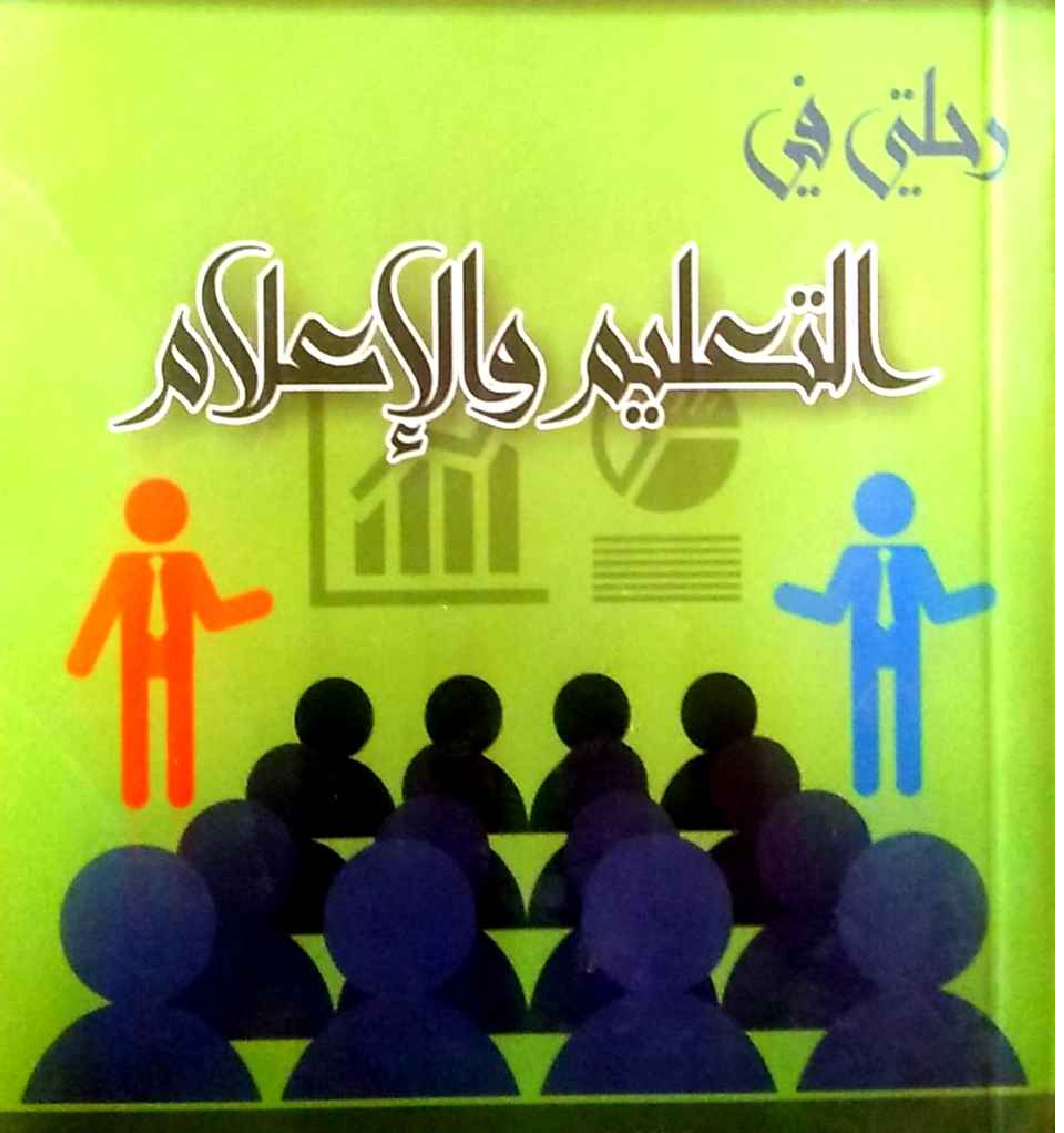
ومضات برقت
عبر سنين مضت

4 - 8

د. محمد بن موسى الشريف

رحلتي في التعليم والإعلام



١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

سلسلة ذكريات: ٦/٨

ومضات برقت عبر سنين مضت



تأليف

محمد بن موسى الشريف

الطبعة الأولى للناشر

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

رقم الإيداع: ٢٠١٧/٣٧٣١

الترقيم الدولي: 8 - 38 - 6581 - 977 - 978

مركز إبصار للنشر والتوزيع

القاهرة - العجوزة - شارع المنتصر

محمول: 00201143749293

E.mail:ebsar2015@Gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة



الحمـد لله رب العـالمين، والصـلاة والسلام على سيدنا محمد وآلـه وصحبه أجمعين، وبعد:

فهـذا هو **الجزء الرابع** من ذكرياتي المعنونة بـ« **رحلتي مع**»، بدأتها بـ«رحلتي مع القراءة»، وثنيت بـ« رحلتي في طلب العلم »، وثلثت -وأعوذ بالله من التثليث وأهله- بـ«رحلتي في التأليف»، وهذا هو الكتاب الرابع المعنون: «رحلتي في التعليم والإعلام».

وهذا الكتاب هو المتمم لستة أجزاء من ذكرياتي، الأربعة المذكورة آنفًا، وكتاب « رحلاتي »، وكتاب« مذكرات طيار »، وكل ذلك في المطبعة وسيظهر قريبًا بإذن الله ، ما عدا « مذكرات طيار » فقد صدر منذ عدة أشهر، ولله الحمد والمنة، وبقي من جملة الذكريات جزءان: : «رجال عرفتهم»، والكتاب الثامن سأتحدث فيه عن مسيرة حياتي سوى ما تقدم، لكني أقدر أن هذين الكتابين سيتأخر تدوينهما ثم



نشرهما إلى أجل لا يعلمه إلا الله -تعالى- وذلك لأن مادتيهما تفتقر في كتابتها ومِن ثم نشرها إلى أحوال مواتية وأمور مساعدة لا توجد في زماننا هذا، فعسى الله -تعالى- أن يمد في الأجل ويفسح في المدة، ويغير الأحوال لأتمكن من كتابة هذين الجزئين الأخيرين: السابع والثامن على ما أحب وأتمنى.

هذا وقد جمعت في هذا الجزء بين التعليم والإعلام، وذلك لسببين:

أولاهما: أن الإعلام إنما هو وسيلة للتعليم، وأداة للوصول إلى الناس فناسب إذن أن يوضع مع التعليم.

والآخر: أن رحلتي مع الإعلام ليست بذلك الطول والتشعب لتفرد في رسالة فآثرت أن أجمعها مع « رحلتي في التعليم »، والله المعين.

- وأظن، والله تعالى أعلم، أني بهذا التقسيم الثُماني تخلصت من حرج عدم الإتيان بما لا أستطيع الإتيان به الآن، وفي الوقت نفسه أخرجت ما أقدر عليه فلربما استفاد منه من اطلع عليه، وهذا خير من صنيع كثير من المشايخ والأساتذة الذين لا يستطيعون كتابة مذكراتهم بدعوى أن فيها ما لا يسوغ نشره الآن، وربما ساغ في

المستقبل، فيسوفون إلى أن يباغتهم الأجل أو يدهمهم مرض مُلْهٍ مقعد فيفوت على الناس فوائد عديدة كان يمكن إخراجها على وجه ليس فيه حرج على صاحب الذكريات.

- ولقد خاطبت مشايخ كثيرين، وطلبت منهم كتابة ذكرياتهم، فبعضهم وعد خيرًا، وكثير منهم اعتذروا بأعذار مختلفة مدار أكثرها على عدم ملائمة جزء من ذكرياتهم للنشر، ولو سلكوا الطريقة التي سلكت لهان عليهم تدوين كثير من ذكرياتهم، والله المستعان.

- وأرجو أني لم أُرد من تسطيري هذه الذكريات المفاخرة، ولا المكاثرة، ولا الرياء والسمعة، وأسأل الله تعالى أن يعيذني من كل ذلك، ويجيرني من عاقبة تلك المهالك، إنما أردت إطْلاع فئام من الناس على فوائد قد يهتدون بها، ومواقف قد يستفيدون منها، وحوادث قد يستضيئون بها، وطرائق قد تجدد لهم عزمًا، وقضايا قد يكسبون منها علمًا وفهمًا.

- وكذلك ما كتبته هو إجابة على أسئلة كثيرة من أناس كثيرين، كنت قد وعدتهم بإجابة أسئلتهم في مؤلف خاص، وذلك لأني أتحرج أن أتحدث في شئون خاصة بي في المحافل والمحاضرات، وذلك لأن الناس ينبغي لهم أن يسمعوا كلام الله تعالى وسنة

رسوله - ﷺ- وكلام عظمائنا من السلف والخلف، لا أن أتحدث إليهم عن نفسي ومراحل طلبي للعلم ومؤلفاتي إلى آخر مطالبهم التي ينبغي -إذا أجيبوا إليها- أن تُورد في مكان آخر.

هذا والله -تعالى- هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به سبحانه.

وصل اللّهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه حامدًا مصليًا

العبد المذنب الضعيف

محمد بن موسى الشريف

الموقع على الشبكة: www.altareekh.com

صفحة الفيس بوك: د . محمد بن موسى الشريف

حساب التويتر: DRMOHAMMEDMH

البريد الإلكتروني: mhmalshareef@gmail.com

تمهيد



قد تصدرت للتعليم مبكرًا، وذلك أني من جيل ابتدأت به الصحوة، التي بدأت في بلادي سنة ١٣٩٦هـ /١٩٧٦م، ثم اشتدت وعظمت بعد ذلك ببضع سنين، فكان مِن اشتدادها أن كثر الشباب العائد إلى الله، والمستمسك بحبله المتين وصراطه المستقيم، ولا بد للشباب من معلمين وموجهين، فاتجهت إلى مثلي الأنظار، وطلب مني التصدر للتعليم قبل الأوان، فكنت كما قيل: تزبّب قبل أن يتحصرم، لكن لا بد مما ليس منه بُد، وجموع الشباب التي كالبحر المائج أيام عظم الصحوة لا بد لها من معلم وموجه ومرب، فكان الذي خفنا أن يكون، وإنا لله وإنا إليه راجعون، فتعلق بي وبمثلي أعداد من الشباب الذين لم يستطيعوا أن يحوزوا قدرًا مناسبًا من العلم ويريدوا أن يتفقهوا في دينهم ويتعلموا ما يقيمون به حياتهم الخاصة والعامة على دعائم صحيحة.

وعلى سبيل المثال الموضح لما ذكرته آنفًا فإني قد دَرّست قواعد التجويد على مرحلتين: مرحلة كنت فيها بحاجة إلى من يدرسني!! ومرحلة أخرى كانت بعد إتقاني للتجويد وقراءتي على شيخي الشيخ أيمن سويد، حفظه الله تعالى.

أما **المرحلة الأولى** فقد كنت أدرّس فيها التجويد لأقراني من الطلاب الطيارين في أمريكا وغيرهم، وكنت أظن أني على شيء من الدراية بالأحكام، فعلمت مجموعة من أولئك الطلاب بما كنت أظنه كافيًا وافيًا، حتى إذا عدت من أمريكا، والتقيت بالشيخ المقرئ أيمن سويد طلب مني أن أقرأ، فقرأت بضع آيات، فلما فرغت تبسم وقال لي، أنا لا أريد أن أقول إن قراءتك تستحق عليها صفرًا بل ربما تستحق فوق الصفر بقليل!! فلا تسألوا معاشر القراء عن خيبة أملي بما سمعته، واندهاشي من تقريره وحكمه، فقلت له متعجبًا: ولماذا؟

فقال: لأنك لم تظهر العين من مخرجها في (أعوذ)، ولم تفخم الطاء من (الشيطان) ولا الراء من (الرجيم) ولم تهمس السين من (بسم الله) ، وكذلك الحاء من (الرحمن)، ولم تفخم الراء من (الرحيم)، فصار يعدد عليّ أخطائي الكثيرة ولم يتجاوز بعد الاستعاذة والبسملة، وهنا سُقط في يدي ورأيت أني جاهل بما كنت أظن أني مطلع عليه، وعالم به،

فهذا الذي عنيته بالتصدر قبل الأوان، فما كان لي أن أعلم أحدًا وأنا على حالي ذلك من الخطأ والجهل.

ثم لما عدت من أمريكا سنة ١٤٠٢ هـ /١٩٨٢م وبدأت في طلب العلم وقعت في المحذور نفسه، وذلك أني استجبت لطلب عدد من أقراني أن أدرسهم العقيدة والتفسير والفقه والحديث، هذا ولم تكتمل عندي -آنذاك- العلوم، ومازالت غير مكتملة طبعًا، ولم يشتد عودي، ولم أقف على مهمات المسائل، ولا يصح أن أجلس في مقعد التعليم، لكن قد بينت أن الصحوة كانت كالبحر المائج والهائج بشبابها الكُثر المقبلين على دينهم والمتعطشين لمعرفته، فابتدأت بتعليم مجموعات من الشباب نظمتهم في حلقات، كل حلقة فيها من ٣-٥ أشخاص بحسب أحوالهم وقدراتهم وأعمارهم، ولا أذيع سرًا إذا قلت إني -آنذاك- كنت أعلمهم أحيانًا بعض ما لا أتقنه، وأدرسهم أحيانًا شيئًا لا أفهمه على وجهه، وكان هذا أمرًا طبيعيًا على مثلي ممن طلب العلم قليلاً وتصدر سريعًا، فكنت أعلمهم العقيدة والتفسير والفقه والحديث والسيرة ومبادئ الدعوة، على عوج في فهمي، وضحالة في علمي، وقلة وقوفي على القواعد والضوابط الشرعية:

قال دِعْبل الخزاعي:

لعمر أبيك ما نُسب المُعَلّى إلى كرم وفي الدنيا كريمُ

ولكن البلاد إذا اقشعرّت وصَوَّح نبتُها رُعي الهشيم

والآفة الثانية التي كنت واقعًا فيها آنذاك أن معظم الذين عَلّمتهم كانوا من أقراني وفي مثل عمري أو أسنّ، والذي هو أسنّ مني منهم كان أكثر عددًا من الذي هو في مثل عمري، وهذا يوقع حرجاً على المعلم؛ إذ لا يستطيع أن يشتد عليهم في مواطن الشدة، ولا أن يؤدبهم في مواطن الأدب، ولا يرشدهم في مواضع الإرشاد مما يقتضيه التعليم، إذ كيف سأصنع هذا بمن هو في مثل عمري وأسن مني؟! وكان بعضهم لا يقبل مني التعليم والتقويم إلا على مضض لما ذكرته آنفًا، ومن المعلوم أن الأقران يصعب أن يرأس بعضهم بعضًا أو أن يفيد بعضهم بعضًا، وقد قيل قديمًا: إن المعاصرة حجاب.

وقد كانت مدينتي جدة آنذاك يقل فيها المشايخ المتصدرون للعلم في المساجد بل هم -على التحقيق- نادرون، فلذلك احتاج الشباب أن يعلم بعضهم بعضًا، وأن يفقه بعضهم بعضًا على عوج في كل ذلك، ونقص فيما هنالك، لكن كان أمرًا لا بد منه آنذاك، وقد استعنت بفضل الله -تعالى- بما ألقاه إليّ فضيلة الشيخ الدكتور محمد علي من مبادئ العلوم، على التفصيل الذي ذكرته في كتاب «رحلتي في طلب العلم».

وهكذا ظللت أدرس -على العوج المذكور- منذ سنة ١٤٠١هـ إلى سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨١م-١٩٨٣م ، وهي السنة التي يسر الله تعالى لي فيها ابتداء الدراسة في جامعة الإمام محمد بن سعود، فلما أخذت في الدراسة على وجهها في الجامعة استقام لي الأمر قليلاً، والحمد لله رب العالمين ثم إني طلبت العلم بعد ذلك بتوسع على مشايخ عديدين، وتفصيل هذا في كتاب «رحلتي في طلب العلم».



المبحث الأول

التعليم في الحلقات الخاصة

قد سلكت طريقة التدريس في الحلقات الخاصة منذ ٣٦ سنة تقريبًا، وفي هذه الحلقات يجتمع ٤-٦ من الطلاب وربما أقل وأكثر لأدرسهم موضوعات متعددة، منها:

١- كتاب « المقدمة الجزرية » للإمام ابن الجزري[1] -رحمه الله تعالى- بشرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري[2]، رحمه الله تعالى، وهذا

---

(١) هو الإمام العلامة محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين أبو الخير الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرئ، ويعرف ب(ابن الجزري) نسبة لجزيرة ابن عمر قرب الموصل. ولد سنة ٧٥١ بدمشق، واشتد اعتناؤه بالقراءات. دخل القاهرة وجرت له فيها حوادث سافر على إثرها إلى بلاد الروم (الدولة العثمانية) ثم إلى شيراز حيث توفي بها سنة ٨٣٣. انظر « الضوء اللامع »: ٩/٢٥٥- ٢٦٠.

(٢) هو الشيخ زكريا بن محمد بن زكريا، الشيخ الإمام، زيد الدين الأنصاري المصري الأزهري الشافعي. ولد سنة ٨٢٣، ونشأ في ضنك وشدة، واجتهد في طلب العلم، وتفقه على مشايخ كثيرين، وأخذ الحديث والقراءات على مشايخ حتى برع في فنون العلم وقصد بالرحلة من الحجاز والشام، وكان محظوظًا في أموره دينًا ودنيا، وجمع من الأموال والكتب ما لم يتيسر لمثله، ورزق مصنفات حسنة وتلاميذ بررة، واتهم باتهامات الله أعلم بحاله فيها. توفي سنة ٩٢٦، بعد أن عمر طويلاً، رحمه الله تعالى. انظر « الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة »: ١/١٩٦ - ٢٠٧.



الكتاب درسته مرات كثيرة ، وهو من أجل الكتب التي بينت قواعد التجويد، والمقدمة هي منظومة من بحر الرجز، أبياتها ١٠٧ أبيات، سهلة لطيفة، وشرح شيخ الإسلام لها شرح موجز لطيف، وتعد هذه المنظومة مقدمة لقراءة الطالب على الشيخ ختمة الإجازة، وقد قرأها علي أشخاص كثيرون، وهي مفيدة لمن يحب القراءة في الكتب القديمة؛ وإلا فكتب التجويد الحديثة أسهل في القراءة، وأقرب للفهم، وأحسن تناولاً للموضوع، لكن الجزرية آنذاك كان لها وقع جليل في النفوس، وكان كثير من الناس مقبلين على قراءتها، مؤثرين لها على ما سواها، وهذا هو السبب في إقرائها لكثير من الطالبين لها في ذلك الزمان، وقد كان ذلك الزمان أوائل هذا القرن زمان صحوة وإقبال وتعلق من كثير من الناس بحبال العلم الشرعي خاصة العلم المستقى من الكتب القديمة.

٢- إقراء الصحيحين بالسند، وقد قرأتهما على مسند العصر الشيخ سليمان الأهدل اليمني - حفظه الله تعالى ونفع به - وكذلك قرأت أجزاء من البخاري على الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، وكذلك قرأت أجزاء منه على شيخي الشيخ أيمن سويد في مجالس الحفاظ التي كانت تعقد في جدة قديمًا بإشرافه، وقد توسعت في بيان ذلك في رسالة « رحلتي في طلب العلم ».

وهناك حلقة من الطلاب الذين يقرأون الصحيحين طلبًا

للإجازة، وقد أجزت واحدًا منهم، والباقي مازالوا يقرأون، وإنما شغلهم وشغلني أمور طرأت وأحوال جَدّت.

وقد اختلفت الأنظار في جدوى قراءة كتب السنة على مشايخ مسندين، فبعض طلبة العلم يرى في ذلك فائدة جليلة من حيث الصلة بالإسناد إلى رسول الله - ﷺ- وكفى بهذا شرفًا وبركة، ومن حيث ضبط ألفاظ الحديث على شيخ متقن، وخاصة الطلبة الذين لا يحسنون القراءة فيكون هذا التلقي مرانًا لهم، ومن حيث التعود على القراءة في الكتب القديمة.

وبعض طلاب العلم والمشايخ يرى أنه لا فائدة من هذه القراءة إلا البركة فقط، وإلا فالحديث مسطور في الكتب والسند لا معنى له الآن.

ولعل الفريق الأول أن يكون أسعد بالصواب وأقرب إلى الحق إن شاء الله تعالى.

لكن ما يجري في كثير من مجالس القراءة من هَذْرَمة القارئ[1] ولحنه وسرعته إلى أن تصبح قراءته مدموجة غير مفهومة أحياناً فهذا أمر مرذول، لا بركة فيه ولا استفادة بل هو إلى اللعب والتهاون أقرب، والله المستعان؛ إذ أصبح غرض كثير من طلاب العلم في مثل

---

(١) أي: سرعته.



تلك المجالس هو السرعة في القراءة للانتهاء ومِن ثم التبجح بالقول قرأنا كذا وكذا على المشايخ وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣- حلقات تعليم مبادئ العلوم الشرعية، وهي حلقات كثيرة انتظم فيها خلق كثير، درستهم مبادئ القرآن والتجويد، والعقيدة، والفقه، والحديث، والسيرة وجوانب من التاريخ والسيرة والدعوة واللغة، وهي مبادئ تناسب المثقف من طلاب الجامعات والموظفين في المجالات المختلفة ممن يرغبون في معرفة جوانب من شريعتهم ولغتهم وتاريخهم وطرائق الدعوة، وتاريخ العاملين وطرائقهم العملية ومناهجهم العلمية.

وهؤلاء لا يعدون من طلبة العلم، إنما هم من المثقفين -تكنو قراط في الغالب- يريدون معرفة شيء عن دينهم.

وهذه الحلقات كانت مهمة في زمن صعوبة الوصول إلى المعلومة الشرعية والتاريخية قبل عصر القنوات والإنترنت، وذلك لغير المتخصصين في علوم الشريعة، وهي تساعد في بناء الثقافة الإسلامية المناسبة لهم، وتساعد على تثبيت الإيمان في القلوب، فالمرء لابد له من إخوانه، يركن إليهم -بعد الله تعالى- ويأنس بهم، خاصة أن تلك الحلقات كانت أسبوعية فهذا مما يساعد على الثبات والمداومة على فعل الخيرات.

٤- حلقات الإجازة القرآنية:

قد قصدني بعض الطلاب طلبًا للإجازة في قراءة حفص، فمنهم الطالب النابه هتان بيومي، وهذا أنبغ طلابي وأجودهم، فهو ثقِفٌ لَقِنٌ، سريع الفهم، حسن التلقي للعلوم، وله قصة لطيفة، فقد جاءني خاله سعادة المهندس سمير متبولي، وقال لي: ابن أختي يريد أن يدرس عندك، فقلت له: حَيَّهلا فكم سنه؟

فقال: أربعة عشر عامًا.

فقلت: وماذا أصنع بابن أربعة عشر عامًا ؟

فقال: لا بد من ذلك وألح عليّ، ثم اتصل بي والده وقال: أريد أن أراك، فضربت له موعدًا فجاءني هو وابنه فرأيته ضئيل الجسم، في عينيه عزم ومضاء، فطلب مني الوالد ملحًا أن أقبل تدريس ابنه، فقلت للولد على سبيل الاختبار: هل تعرف المقدمة الجزرية؟

فقال: نعم.

فقلت : هل تستطيع حفظها؟

فقال: نعم.

وكان اليوم سبتًا فضربت له موعدًا يوم الأربعاء، فأتاني فسردها علي كالفاتحة، فعرفت تميزه، فقرأ عليّ شرح المقدمة، ثم قرأ علي بعض الكتب منها قطر الندى لابن هشام وكتاب شذا العَرْف في فن الصرف للشيخ أحمد الحملاوي، وغير ذلك مما لا أذكره الآن.



وتقدم الولد في العربية حتى أتقن الحديث بها، وتهيأ لمزيد من العلوم، وقرأ علي القرآن من أوله إلى آخره وأجزته في قراءة حفص .

ولما فرغ من الثانوية وحصل على معدل مرتفع متميز جداً قلت له: ماذا تريد التخصص فيه؟

فقال: الهندسة.

فقلت له: إن الهندسة لا تحصل لك، ولا تصلح، وصحيح أنك مميز في دراستك ودرجاتك، لكن ميولك نحو علوم الشرع واللغة.

فقال: إن أهلي لا يوافقون.

فقلت له: لكن ماذا تريد أنت؟

فقال: أنا لا أستطيع مخالفة الوالدين.

وهذه مشكلة عويصة يقع فيها ويعاني منها كثير من نابهي الطلاب الذين يرغبون في التخصص في العلوم الشرعية واللغوية، وهم في الوقت نفسه مميزون في دراستهم العلوم الطبيعية، فيلح عليهم أهلوهم أن يدرسوا الطب أو الهندسة، بزعم أن من نال الدرجات العليا في المدرسة فهو حقيق أن يدرس العلوم الطبيعية في الجامعة، وكأن كليات الشريعة واللغة والتاريخ حِكْر على أصحاب الدرجات المتدنية ومتوسطي القدرات، وهذا -على التحقيق- هو الذي نعاني منه اليوم، وهو أن أكثر الدارسين لعلوم الشريعة واللغة والتاريخ هم من

أصحاب القدرات الذهنية المتوسطة أو الضعيفة وتلك خطة ماكرة، بدأها في العصر الحديث اللورد كرومر الذي سمي بالمندوب السامي البريطاني في مصر، فقرر أن خريج الكليات العلمية يتقاضى ثلاثة أضعاف ما يتقاضاه خريج كليات الشريعة واللغة والتاريخ، ومنذ ذلك الوقت سرى الضعف في الكليات الشرعية؛ إذ من ذا الذي سيقبل عليها إلا ضعاف الطلاب غير القادرين على الكليات العلمية، وسرت هذه الخطة في كل البلاد العربية والإسلامية إلا قليلاً جدًّا منها(١).

- وقرأ عليّ أيضًا المهندس خالد العمودي، وكان قد قرأ شرح الجزرية مع هتان، وقرأ بعض الأجزاء للتدريب قبل أن يبدأ بختمة الإجازة، ثم قرأ علي القرآن كله فأجزته في رواية حفص عن عاصم، هذا وكان الاثنان: هتان وخالد متلازمين في كل ما طلباه من العلم عليّ تقريبًا.
- هذا وسلك المسلك نفسه الشيخ خالد عبد الكافي، فقد قرأ علي شرح الجزرية -أو أني اختبرته فيها، لا أذكر الآن- وقرأ علي عدة أجزاء من القرآن العظيم للتدريب وتذليل اللسان، ثم قرأ علي

---

(١) سيأتي في المبحث الثالث -إن شاء الله تعالى- على تفصيل أسباب ذلك، وتفصيل صنيع كرومر.



لينال الإجازة، وما زال يقرأ، وعسى أن يختم إن شاء الله تعالى عما قريب.

وقرأ علي الشيخ أحمد باحنشل، وهو طالب علم مجتهد، متفقه بالمذهب الشافعي، ويحضر الدكتوراه في الأزهر، قرأ علي شرح الجزرية، وقرأ أيضًا جملة وافرة من القرآن العظيم، لكنه انقطع عني لعارض عرض له قبل تمام القراءة فلم ينل مني الإجازة، التي هو أهل لها.



المبحث الثاني

التعليم في الدورات

منذ زمن ليس بالقصير ابتدأت تدريس جماعات من الطلاب في دورات خاصة، وهؤلاء عددهم يتفاوت ما بين العشرة إلى المائة، وهذه الدورات تكاد تنحصر في موضوع واحد وهو المداخل إلى العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية والأدبية، فأبدأ الحديث في مقدمة توضح للطلاب عظم المكتبة الإسلامية، وقلة ما طبع منها بالنسبة لما هو مخطوط ومفقود، وأبين للطلاب أهم أماكن وجود المخطوطات اليوم في العالم.

وفي المقدمة -أيضاً- أبين للطلاب أهمية الإخلاص في طلب العلم، وأنه الكنز الثمين والإكسير الذي يقلب الأعمال ذهباً خالصاً.

وبعد الفراغ من هذه المقدمة أشرع في الحديث عن أولى المداخل إلى العلوم الشرعية، فأبدأ بالمدخل إلى علم الإيمان، فأقرر الفرق بينه وبين مصطلح العقيدة في ثلاثة فروق:

١- أنه استعمال الشارع في الكتاب والسنة، أما العقيدة فهو مصطلح حادث في القرن الثالث وما كان واردًا في النصوص من الكتاب



والسنة فهو خير من الحادث بعد ذلك.

٢- إن مصطلح الإيمان أعم من مصطلح العقيدة، إذ العقيدة مباحث علمية والإيمان مباحث علمية ويضاف إليها معاملات القلوب وإحسان العلاقة بين المرء وربه.

٣- إن مصطلح الإيمان هو الذي نحتاجه اليوم في تدريس الجيل الجديد أصول دينهم، حتى نبتعد به عن دراسة المباحث الكلامية الجافة التي لا تعود عليه بالنفع في دينه ولا دنياه -غالبًا- ونأخذه بتعظيم الله -تعالى- وملائكته ورسله واليوم الآخر، وهذا هو منهج النبي ﷺ مع أصحابه في مكة.

ثم بعد الفراغ من هذا التقرير أبين أثر تعميق الإيمان في نفوس الصحابة في المرحلة المكية، وأنه ظاهر في أمرين:

١- إعدادهم لتلقي الشرائع المتتالية في المدينة النبوية المنورة بطيب نفس ورضى قلبي لا نظير له بين الأمم قبلهم.

٢- إعدادهم للتضحية بالنفس والمال والوقت في سبيل الله تعالى.

ثم آتي على الاختلافات العقدية مبتدئًا بالخوارج وبدايات ظهورهم في آخر زمن النبوة يوم رمى ذلك الخارجي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - بفرية شنيعة: «اعدل يا محمد فإنك لم تعدل» ومرورًا بالخوارج زمن علي -رضي الله عنه- ثم الدولة

الأموية، ثم انتشارهم في تونس، ثم أذكر أماكنهم التي سكنوها إلى يوم الناس هذا في عمان والجزائر وأماكن من الصحراء الكبرى، وهم الإباضية(١).

ثم آتي على ظهور الفكر الخارجي في العصر الحديث في سجون العبد الخاسر «عبد الناصر» على يد شكري مصطفى وأتباعه، ثم خروجهم من السجن وتكوينهم جماعة التكفير والهجرة ثم الإيقاع بهم وإعدام شكري مصطفى وعدد من أتباعه سنة ١٣٩٨/١٩٧٨.

ثم ظهور صالح سرّية ومن معه الذين اقتحموا الكلية الفنية العسكرية في القاهرة وقُضي عليهم بعد ذلك ١٣٩٤/١٩٧٤.

ثم انتشار الفكر الخارجي في مصر وحرب الحكومة له إلى أن ظهر في أفغانستان على يد القاعدة وجرى ما جرى، ثم انتشار هذا الفكر في بعض الدول العربية، ثم ظهور داعش، وآتي على ذلك كله بتفصيل مناسب.

- ثم آتي على الشيعة، فأقسمهم أربعة أقسام:

١- التشيع الخفيف وهو مذهب بعض صغار الصحابة مثل الحسن والحسين وعمار بن ياسر - رضي الله عنهم - وهو تفضيل علي

---

(١) نسبة إلى عبد الله بن إباض التميمي أحد قدماء الخوارج، توفي في آخر زمن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي.

على عثمان مع تعظيم تام لكل الصحابة -رضي الله عنهم- وهذا لا يضر ولا يُبدّع معتقده، وإن كان أهل السنة والجماعة ذهبوا إلى تفضيل عثمان على علي - رضي الله عنهما -.

٢- التشيع، وهو مذهب الزيدية، وهو تفضيل علي على جميع الصحابة -رضي الله عنهم- دون سب لأحد وتعظيمهم جميعًا، لكن الزيدية خرجوا من دائرة أهل السنة والجماعة باعتقادهم أن عليًا هو الوصي، وهو اعتقاد باطل لا يسوغ شرعًا أو عقلاً، وبتفضيلهم علي على الشيخين.

٣- التشيع الغالي، وهو تشيع الرافضة الإمامية، وأبين للطلاب أهم أصولهم، وأماكن انتشارهم اليوم.

٤- التشيع الكفري وهو تشيع الفرق الثلاث: الإسماعيلية والدروز والنصيرية وأبين للطلاب أهم أصولهم العقدية وأماكن انتشارهم.

- ثم آتي على الصوفية وأقسمهم ثلاثة أقسام:

١- صوفية الطور الأول وهم الجنيد[1] وأصحابه وأمثاله، وذلك

(١) الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي ثم البغدادي ، شيخ الصوفية. ولد سنة نيف وعشرين ومائتين ، وتفقه وأتقن العلم ، وتعبد ونطق بالحكمة. وروى قليلاً من الأحاديث ، أفتى وله عشرون سنة. توفي سنة ٢٩٨. انظر «سير أعلام النبلاء» : ١٤/٦٦-٧٧.

نحو ذي النون المصري(١)، وأبي عثمان الحيري النيسابوري(٢) ممن لم يتهموا ببدعة، وكانت طريقتهم مضبوطة بالكتاب والسنة.

وأبين للطلاب ثناء أئمة الإسلام على الجنيد، خاصة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيه.

٢- صوفية الطور الثاني، وهو الطور الذي ظهرت فيه البدع والشطح والأقوال الغليظة، والمذاهب المرذولة، ويمثل هذا الطور أصدق تمثيل الإمام أبو حامد الغزالي وكتابه «الإحياء» وأبين ما في الإحياء من جلال وقوة وما فيه من مواطن ضعف وآراء لا يساعد عليها الشرع المطهر.

٣- ثم آتي على الطور الثالث، طور تصوف ابن عربي(٣) وابن

---

(١) الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، أبو الفَيْض. وكان عالماً فصيحًا حكيمًا واعظًا، توفي سنة ٢٤٥، وكان من أبناء التسعين رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء ٥٣٢/١١-٥٣٦».

(٢) هو: الشيخ الإمام المحدث الواعظ القدوة شيخ الإسلام الأستاذ أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد النيسابوري الحيري الصوفي. ولد سنة ٢٣٠ بالري، وسمع من علماء في بلده وفي بلاد أخرى. هو للخراسانيين مثل الجنيد للعراقيين. وكان مجاب الدعوة، مجمع العباد والزهاد. وكان إذا بلغ سنة لم يستعملها وقف عندها حتى يستعملها. توفي سنة ٢٩٨ رحمه الله تعالى. انظر (سير أعلام النبلاء ٦٣/١٤-٦٦).

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في

الفارض[1] وابن سبعين[2] وجلال الدين الرومي[3] وأضرابهم ممن امتلأت كتبهم بالأسرار والرموز والغموض، وخرجوا بآراء ونظريات ورياضات غير مقبولة البتة في ميزان الإسلام، وأبين للطلاب خطورة تلك الآراء وسوء أثرها على المجتمعات الإسلامية.

هذا وقد سيطرت هذه الطرق الصوفية على الكثرة الكاثرة من

مرسية (بالأندلس) سنة ٥٦٠، وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز.

وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أريق دم الحلاج وأشباهه. وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا.

واستقر في دمشق، فتوفي فيها سنة ٦٣٨. وهو كما يقول الذهبي: قدوة القائلين بوحدة الوجود. له نحو أربعمائة كتاب ورسالة. وانظر «الأعلام»:٦/٢٨١.

(١) هو عمر بن علي بن مرشد، الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، ولد سنة ٥٧٦، وتوفي سنة ٦٣٢، ولقب بسلطان العاشقين، وهو من القائلين بالاتحاد ووحدة الوجود. وانظر «الأعلام»: ٥/٥٥.

(٢) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلي المرسي الرَّقوطي، قطب الدين، من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود. ولد سنة ٦١٣ في الأندلس. ومات بمكة سنة ٦٦٩. وانظر «الأعلام»:٣/٢٨٠.

(٣) هو محمد بن محمد بن الحسين بن أحمد البلخي القونوي الرومي، جلال الدين. عالم بفقه الحنفية وأنواع من العلوم. ولد في بلخ سنة ٦٠٤، وتنقل في البلاد إلى أن استقر في قونية من أرض تركيا اليوم، وتوفي بها سنة ٦٧٢. وقد ألف «المثنوي» الرومي في أبيات كثيرة. وهو من القائلين بالاتحاد ووحدة الوجود. وانظر «الأعلام»:٧/٣٠.

المجتمعات الإسلامية منذ القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري، ولم يضعفها إلا الصحوة الإسلامية المباركة.

وأبين للطلاب بالتفصيل علاقة بعض تلك الطرائق المنحرفة بالاستخراب العالمي، وتسهيل بقائهم في ديار الإسلام، وأضرب لهم الأمثال على مخازي الصوفية الغالية، وأبين لهم تقرير مؤسسة راند الأمريكية التي وصّت رؤساء أمريكا والعالم بدعم الصوفية في مقابل الجماعات الإسلامية المخلصة العاملة.

- ثم آتي على المعتزلة فأبين جانبًا مهمًّا من أصولهم له علاقة بزماننا هذا وهو تقديم العقل على النص، وأبين حال العقلانيين والعصرانيين في زماننا هذا الذين قدموا العقل على النص، وأوّلوا النص أو أنكروه -ولو في الصحيحين- وأبين صنيعهم في معجزات رسول الله - ﷺ- وكيف أولوها أو أنكروها.

ثم أبين للطلاب سبب ظهور أولئك العقلانيين وأُرجع ذلك إلى أسباب منها: الانبهار الحضاري أو الصدمة الحضارية التي أصابت المثقفين الذين ابتعثوا إلى ديار الغرب بغير حصانة شرعية مناسبة، وكذلك تأثير المستشرقين الذين تبوأوا مناصب في مصر والشام خاصة، وتغلغلوا في الجامعات ومراكز البحث، وكان لهم أسوأ الأثار على الطلاب الذين أصبحوا موجهين للمجتمع بعد ذلك فساروا على



خطى أساتذتهم.

- ثم إني أتحدث في ظهور القومية والشيوعية والاشتراكية في ديار العُرب والإسلام، وكيف اعتنقتها حكومات حتى أصبحت هي المذاهب السائدة في العالم الإسلامي حتى أتانا الله تعالى بالصحوة الإسلامية الجليلة.

- هذا عرض موجز في المدخل إلى علم الإيمان، وهو متشعب واسع - كما يرى القراء- لكني أحاول الإيجاز في كل ما أورده ليرسخ في عقول الطلاب وقلوبهم.

- ثم بعد الفراغ من المدخل إلى علم الإيمان أشرع في المدخل إلى علوم القرآن فآتي على المباحث المهمة فقط، وأما الباقي من المباحث فأحيل الطلاب على الكتب لقراءته لوضوحه، ولعدم الحاجة إلى شيخ لتبيينه.

ومما آتي عليه في علوم القرآن المباحث الدقيقة في القراءات والأحرف السبعة، وأبينها بالتفصيل لأن هذا المبحث يعسر فهمه على كثير من الطلاب .

ثم آتي على بيان موجز للتفاسير القديمة والحديثة مبيناً أهم أنواعها ومزاياها.

وبعد ذلك آتي على مبحث مهم ألا وهو خواص القرآن ومجربات

القرآن، وأعني بخواص القرآن ما أودعه الله تعالى في كلامه الجليل من القدرة على شفاء الأرواح والأبدان، وآتي لهم بأمثلة أرد فيها على شبهات المنكرين لشفاء الأبدان بالقرآن.

وكذلك آتي على الرقية وأحوالها.

ثم آتي على مبحث مجربات القرآن وهي أخبار عن السلف و الخلف كثيرة جليلة أودعها الإمام ابن القيم في كتابه الجليل «زاد المعاد» وكذلك الإمام السيوطي في «الإتقان» والإمام الذهبي في الكتاب المنسوب إليه «الطب النبوي».

ثم آتي بإيجاز على الإعجاز في كتاب الله تعالى بأقسامه المختلفة ومنها الإعجاز اللغوي والتشريعي والتاريخي والعلمي والتأثيري: «إعجاز الهداية» أو «الإعجاز النفسي» وأذكر للطلاب بعض أنواع الإعجاز الأخرى مثل إعجاز قدر القرآن «حجمه» وإعجاز زمن نزوله.

ثم أبين بعض أنواع علوم القرآن بإيجاز مثل إعراب القرآن، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، إلخ...وأذكر لهم المصنفات القديمة والحديثة في كل ما سبق تقريبًا.

- ثم بعد الفراغ من علوم القرآن آتي على علوم الحديث النبوي وأبين لهم أن كثيرًا من الحديث كتب في زمن النبي - ﷺ -، وأن



عمر بن عبد العزيز أمر بكتابته في نهاية القرن الأول الهجري زمن خلافته -رضي الله عنه- وذلك ردًّا على شبهة أن الحديث لم يكتب إلا بعد وفاة النبي - ﷺ- بقرنين، واتخاذ هذا الزعم تُكأة للطعن في الحديث.

ثم أبين للطلاب بإيجاز أنواع المصنفات في الحديث، مثل الموطأ والكتب الستة، وتقسيماتها، والمسانيد، والمعاجم، والمستدركات، والمستخرجات، والأجزاء الحديثية، إلخ.

ثم أذكر لهم بإيجاز كتب الجرح والتعديل الأولى والمتوسطة والمتأخرة، وكذلك الكتب التي شرحت الأحاديث مثل « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لابن حجر، « وشرح صحيح مسلم » للنووي إلخ.

ثم آتي على علم الحديث في عصرنا لأبين لهم المنهج في قبول الأحاديث في عصرنا ومَن هم أعلام المحدثين في عصرنا.

- ثم بعد الفراغ من علوم الحديث أشرع في علم الفقه، مبينًا معناه الاصطلاحي واللغوي، وأذكر للطلاب فقهاء الصحابة والمدارس التي كونوها في مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة، ثم آتي على طلابهم، وطلاب طلابهم مثل الإمام أبي حنيفة.
- ثم آتي على سائر الأئمة المتبوعين الأربعة ، مبينًا منهجهم

وأصولهم وتلاميذهم والكتب المعتمدة في المذهب، وأماكن انتشار تلك المذاهب اليوم.

وآتي للطلاب بأمثلة على الأئمة المتبوعين الذين كانت لهم مذاهب لكنها اندثرت مثل ابن جرير والأوزاعي وأبي ثور.

ثم آتي على الفقه الظاهري وموقف الأئمة منه، كل ذلك بإيجاز .

ثم آتي على الفقه في زماننا هذا وأبدأ بكتاب « فقه السنة » للشيخ السيد سيد سابق - رحمه الله تعالى- والأثر الذي أحدثه في الساحة وبين المثقفين، وأبين كذلك حال الكتب الفقهية التي ألفت على غرار «فقه السنة».

ثم إني أذكر منهجًا موجزًا لطالب الفقه المبتدئ، والموقف من الخلاف بين الأئمة، وموقف الطالب من المذاهب المختلفة، وأطرق بعض المسائل الفقهية المهمة مثل الاجتهاد، والاجتهاد الجماعي، والمجامع الفقهية، والموسوعة الفقهية الكويتية، إلخ.

- ثم بعد الفراغ من الفقه ألج إلى ساحة أصول الفقه والقواعد الفقهية مبينًا العلاقة بينهما وبين الفقه.

وأضرب الأمثلة وأذكر الكتب المعتمدة في كل ذلك -تقريبًا- قديمًا وحديثًا.

ثم بعد الفراغ من الفقه آتي على علوم اللغة، وأقسمها إلى نحو وصرف وبلاغة وعروض، وأشرح بتفصيل لا بأس به مذاهب الأئمة في النحو وبدايته وتطوره وأهم الكتب فيه قديمًا وحديثًا، ثم آتي على المعاجم المتعددة وأبين مناهجها .

وآتي على موقف النحاة الأوائل الغريب من القراءات والحديث النبوي، فأبين موقفهم الغريب منها، ثم أبين مخالفة النحاة المتوسطين مثل ابن مالك وابن هشام وابن عقيل لمناهج المتقدمين، وأنهم مثلوا بالقراءات القرآنية المختلفة والأحاديث النبوية في قواعدهم، وملأوا كتبهم بنصوص الوحيين خلافًا للمتقدمين.

ثم آتي على علم الصرف وأبين أهم الكتب فيه، وأشرح بإيجاز بعض قواعده.

ثم آتي على البلاغة بأقسامها الثلاثة، البيان والمعاني والبديع وأشرحها وأمثل لها، وأذكر أهم كتبها.

ثم آتي على العَروض، وأبين عمل الخليل بن أحمد- الفراهيدي الأزدي المتوفى سنة ١٧٠- الجليل العظيم في حصر الطرائق التي نظم العرب عليها أشعارهم وسماها بحورًا، وأبين لهم كيف يُقَطِّعون الأبيات وكيف يستفيدون من هذا العلم.

ثم أبين للطلاب بالتفصيل مشكلة ضعف اللغة في لسان الأكثرية

من العرب، وأن السبب هو طرائق تدريس اللغة التي تهمل الجانب العملي وتركز على الجانب النظري، وأبين لهم المنهج الأمثل في دراسة اللغة عامة والنحو خاصة.

- ثم بعد الفراغ من اللغة آتي على التاريخ، وهو بحر خضم لكني أحاول تسهيل العبور فيه بتقسيم كتب التاريخ إلى أقسام رئيسية، والإتيان بأمثلة على الكتب المهمة في كل قسم، وأبين للطلاب جلال وعظم التآليف في التاريخ، وأنها كثيرة إلى الحد الذي تند فيه عن الحصر، وتخرج عن العد، لكن أكثرها مخطوط أو مفقود.

ثم آتي على التاريخ في العصر الحديث وأبين أنه لم يجمع إلى يوم الناس هذا، وأن قيام شخص كائنًا من كان بجمعه لهو عمل غير ممكن؛ وذلك لاتساعه وشموله، فبلادنا الإسلامية ممتدة من طنجة إلى جاكرتا، ومن غانا إلى فرغانه، فبلاد بهذا الاتساع كيف يتسنى لفرد واحدٍ بالغٍ ما بلغ أن يأتي على أحداثها، خاصة أن فيها المجهول تاريخيًا أو لم يسجل مثل تاريخ شعوب الملايو: أندونيسيا وماليزيا وفطاني والفلبين، وشعوب إفريقيا السوداء، وكثير من أخبار هذه الشعوب وأبطالها ومجاهديها وعلمائها وذوي الرأي والشأن فيها تكاد تكون مجهولة أو ناقصة نقصًا مريعًا معيبًا، فكيف يعمل شخص واحد في مثل هذا العمل الجليل

الواسع، والبحر الخضم؟

والتاريخ الحديث يبدأ من غزو نابليون مصر سنة ١٢١١هـ /١٧٩٨م لأن فيه أول التقاء للغرب بالدول العربية بعد انقطاع طويل، وإخراج الصليبيين من الشام كان سنة ٦٩٠ والحملة النابوليونية سنة ١٢١١هـ يعني بعد مرور أكثر من خمسمائة سنة، وهذه المدة الطويلة جرت فيها أمور كثيرة لم يكن العرب - على وجه الخصوص- يدرون بها إلا بعد غزو نابليون مصر، فقد جرى في تلك المدة ابتداء عصر النهضة بأوروبا منذ سنة ١٥٠٠، وابتداء تخلفنا - معشر العرب والمسلمين- بعد ذلك بقرن تقريبًا، فأبين لهم كل ذلك.

ثم آتي على الدعوة فأبين أثر حركات الإصلاح مثل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وحركة السنوسي، وعثمان بن فودي، رحمهم الله تعالى.

ثم حركات اليقظة والنهضة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي وأبين للطلاب حال القائمين على تلك الحركات مثل رفاعة الطهاوي وجمال الدين الأفغاني والأستاذ محمد عبده.

ثم أبين للطلاب قيام الجماعات الإسلامية وطرائقها في الدعوة.

ثم آتي على الصحوة بتفصيل طويل نسبيًا لجلالة هذا الحدث

العظيم الذي نقل الله - تعالى- به العرب والمسلمين من أسوأ حال إلى حال يلابسها الأمل والعمل والتحسن في كل مجالات الحياة.

ثم أبين لهم كيف أن الصحوة ساقت الأمة إلى أن حدث الربيع العربي الجليل فأشرفت عليه جموع أهل الصحوة، ووجهته واستفادت منه في جوانب عديدة، ولله الحمد والمنة.

والحديث في هذا الجانب -أي الدعوة- طويل جداً ومتشعب لكني أحاول الإيجاز في كل ما أورده.

- ثم آتي على الأدب العربي، وأذكر أهم الكتب فيه قديمًا وحديثًا، وآتي على مسائل في الأدب والأدباء، مثل الإباحية التي انتشرت في بعض كتب الأدب والتراجم، ومثل بيان حال بعض الأدباء كالجاحظ وأبي حيان التوحيدي وابن قتيبة الدينوري وابن العميد وعبد الحميد الكاتب، وبعض الأدباء المحدثين مثل مصطفى صادق الرافعي وعلي الطنطاوي وجماعة آخرين وأذكر للطلاب أهم المصادر والمراجع الأدبية القديمة والحديثة.

ثم بعد الفراغ من الأدب العربي يكون الطالب قد انطبع في ذهنه صورة موجزة للعلوم الشرعية واللغوية والتاريخية بحيث إنه يفهمها فهمًا عامًّا جيدًا دون الغوص في مسائلها التفصيلية، ودقائقها المنهجية.

ومثل هذه الدورة مهمة للدعاة والقائمين على المحاضن التربوية

للفتيات والشباب، وهي كذلك مهمة للمثقفين من الإعلاميين والأدباء والأطباء والمهندسين وأصحاب التخصصات غير الشرعية، فمثل هذه الدورات تساعدهم في فهم دينهم ورد الشبهات عنه، وتجيب على أسئلتهم المختلفة وتكسبهم ثقافة إسلامية أولية لا بأس بها.

وتستغرق هذه الدورة خمسة أيام، وفي كل يوم ثمان ساعات، أو ٨ أيام وفي كل يوم خمس ساعات.

- ومن الدورات المهمة كذلك دورة تخصصية في كيفية قراءة كتب التراث، وذلك لأن كتب السابقين كانت مكتوبة على هيئة وطريقة لا يحسنها أكثر المثقفين اليوم بل لا يحسنها كثير من طلبة العلم.

ثم إني أشترط في قراءة النص أن يكون من كتب قديمة مطبوعة طباعة حجرية، فتكون الصفحة مليئة بالأسطر التي تنضغط فيها الكلمات بدون فواصل ولا نقاط، فيصبح من الصعب قراءتها قراءة صحيحة، فأشرح للطلاب معنى الطباعة الحجرية، وأطلب منهم بعد ذلك أن يقرأوا وأصحح لهم ما يخطئون فيه من النحو، وكذلك ما يخطئونه من قراءة للكلمات، بسبب أن طريقة طباعة الكلمات والجمل مما لم يألفوه من قبل، وغرضي من تدريبهم على القراءة في الكتب

القديمة هو أن تكون لهم ملكة في قراءتها بيسر وسهولة فتصبح بعد ذلك القراءة في أي كتاب مطبوع طبعة حديثة سهلة عليهم إلى الغاية، وغرضي كذلك أن أصحح ألسنتهم بتدريبهم على النطق بالكلمات بلا أخطاء نحوية، وقد آتت هذه الطريقة أكلها، ولله الحمد والمنة.

- وهذه الدورات ألقيتها في أماكن مختلفة، فمما أذكره الآن منها:

الكلية الأوروبية للعلوم الإنسانية، في بلدة «شاتو شينو» في جنوب فرنسا، وهي كلية جيدة، تساهم في بناء الوعي الشرعي والثقافة الإسلامية لطلاب من أنحاء مختلفة من أوروبا، ويتخرج الطالب فيها ليكون إمامًا في بلاده أو مفتيًا أو مدرسًا وما شابه هذا من الوظائف الشرعية، ووجودها ووجود أمثالها في أوروبا من فروض الكفايات.

- ومن الأماكن التي ألقيت فيها هذه الدورات «أكاديمية بناء لإعداد العلماء» في اسطنبول، وهي أكاديمية حديثة عملت على جلب الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، لتعليمهم وتربيتهم، ولما كنت قد ساهمت في إنشائها فإني أقول: قد اشترطنا ألا يزيد الطلاب على الخمسين طالبًا في الدفعة الواحدة، حتى يستفيدوا حق الاستفادة، فالكيف لا الكم هو المطلوب.

واشترطنا أن يحوز الطلاب على شهادة بكالوريوس الشريعة أو ما

يكافئها، ومن ثم يقبلون عقب اختبارات دقيقة، ويحصلون في الأكاديمية على الماجستير والدكتوراه، بعد أن يدرسوا علومًا شرعية ولغوية وعلمية «طبيعية» وإدارية لمدة سنة على هيئة دورات مكثفة، وفي الوقت نفسه يُعمل على العناية بالطلاب من الجوانب التربوية فيقومون الليل ويصومون الأيام التي حث الشارع على صيامها، وأيضًا يُعنى بهم في القراءة فيكلفون قراءات حرة في سكنهم، وهم يسكنون في الأكاديمية نفسها، وأرى -والله تعالى أعلم- أنها تجربة فريدة ستؤتي ثمارًا جليلة بإذن الله تعالى.

- وألقيت تلك الدورات مرارًا على مسامع رجال مختارين من الشام فيأتون لحضور تلك الدورات إلى المدن التركية التي هي قريبة من الحدود السورية، وهي الريحانية وغازي عين تاب وأنطاكية في المراكز والمجامع المنتشرة هنالك، والتي أنشأها مشايخ وأساتذة من سوريا ليعلموا فيها من جاءهم ليكون بعد ذلك مرشدًا في المخيمات، أو إمامًا، أو مدرسًا، أو ما شابه ذلك من الوظائف الشرعية التي يحتاج أهل الشام إليها في مهاجرهم، وربما استفاد منها رجال من أهل الجهاد يسمعونها ثم يعودون من جديد إلى الشام ليواصلوا جهادهم، فما أحسن هذا.

وقد ألقيت تلك الدورات في «مجمع العز بن عبد السلام» في

غازي عين تاب الذي يقوم عليه الشيخ الفاضل عبد المجيد البيانوني ويساعده صهره الشيخ أبو النصر عطار، وألقيتها كذلك في مركز «من أجل أمة» في أنطاكية ويقوم عليه الأستاذ أبو إبراهيم علوان ويساعده الشيخ خالد وألقيتها في بلدة الريحانية أكثر من مرة.

- وألقيت تلك الدورات في قطر وحضرها ثلة من أهل الفضل برعاية وزارة الأوقاف القطرية.
- وألقيت تلك الدورات أيضًا في بيتي وبعض البيوت الأخرى على طلاب وطالبات.

ووجدت أثرًا جيدًا لتلك الدورات، وفيها إجابة على أسئلة تدور، وشبهات تحوك في الصدور.

- ومن الدورات كذلك التي ألقيتها في أماكن متعددة:

دورة في كيفية قراءة التاريخ وفهمه، وقد ألقيتها في تونس ومصر وقطر في بضعة أيام.

ودورة في الدولة العثمانية: عوامل الصعود، وعوامل الانهيار، وقد ألقيتها في قطر في أربعة أيام.

ودورة في الصحوة الإسلامية وقد ألقيتها في قطر في أربعة أيام كذلك.

وقد رأيت إقبالاً من الشباب لحضور تلك الدورات، وتعطشًا



لمعرفة تاريخهم الذي لم يُكتب بعد على وجهه -خاصة التاريخ الحديث- وقد رأيت أن أختار مجموعة من الشباب ممن حضر تلك الدورات في تونس ومصر ليواصلوا مسيرة طلب علم التاريخ، ومساعدتي على التأليف فيه والتهذيب والاختصار، لكن حصل الانقلاب العسكري المشئوم في مصر فحال بيني وبين الطلاب هنالك، وحصل انقلاب أبيض على حركة النهضة في تونس فلم أرجع إليها منذ حوالي خمس سنوات، والله -تعالى- المسئول أن يمن على المسلمين بإصلاح أحوالهم واستقامة أمورهم.

وعلم التاريخ مزهود فيه من قِبَل أكثر طلبة العلم، على أنه علم جليل فيه مزايا وفوائد كبيرة جدًّا في توعية الناس، وربط حاضرهم بماضيهم ومستقبلهم، واستقاء العبر والعظات من أحداث التاريخ الجسام، والوقوف على سير الصالحين والمصلحين العاملين، وغيرهم ممن لهم أثر جليل في أحداث زمانهم، وأحوال بلدانهم، وكل ذلك يعود على الناس بأحسن العوايد، لكن ما زال علم التاريخ مزهودًا فيه، وقليل من طلبة العلم الجيدين من يُقبل عليه، على أننا اليوم أفضل بكثير من زمن مضى قبل الصحوة، فقد كاد علم التاريخ والتصنيف فيه يكون حِكرًا على القوميين العرب والشيوعيين والاشتراكيين والليبراليين، وبعض الإسلاميين الذين ليس لديهم علم شرعي فخلطوا وخبطوا خبط عشواء في جوانب من مصنفاتهم في علم التاريخ.



المبحث الثالث

التعليم في الجامعات

عقب أن منّ الله علي بنيل درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة سنة ١٤١٧هـ /١٩٩٦م رغبت في التدريس في الجامعة لأحافظ على ما علمته من علوم شرعية، ولأشارك في إفادة الطلاب ودعوتهم.

فذهبت إلى جامعة الملك عبد العزيز لكلية الآداب وفيها قسم الدراسات الإسلامية فعرضت عليهم التدريس في القسم أستاذًا متعاونًا، لأن النظام لا يسمح بالجمع بين وظيفتين حكوميتين، وقد كنت أعمل طيارًا في الخطوط السعودية، فتلكأوا ولم يوافقوا لسببين:

١- لم يكن هناك مال ليكافئوني عن كل محاضرة بمائة ريال!!

٢- كانوا يتخوفون أني متشدد، وبعضهم ذكر ذلك للوسيط الذي أرسلته ليتابع الأمر في الإدارة، فقالوا له: نظرنا إلى ثيابه وهيئته فظنناه متشددًا!!

فقلت لهم: إني لا أريد مالاً منكم، وما تدر عليّ وظيفتي من مال يكفيني ويغنيني، ثم إني أكافأ في عملي بكل ساعة عمل إضافية أكثر

من خمسة أضعاف ما ستعطونيه، فلا حاجة لي إلى المكافأة، إنما جئت لأستفيد وأفيد، فلم يوافقوا.

فما كان مني إلا أن شكوت إلى صديق لي دكتور يعمل في الجامعة في منصب مرموق، فأخذ بيدي وذهبنا إلى وكيل الجامعة، وشرحت له ما جرى، فما كان منه إلا أن تعجب من رفضهم لي، وأمرهم أمرًا جازمًا بقبولي، جزاه الله خيرًا.

وعملت في الجامعة أستاذًا متعاونًا سبع سنوات إلى سنة ١٤٢٤هـ /٢٠٠٤م، والعجيب أنهم لم يعرضوا عليّ أي مكافأة ولم يعتذروا لي بشيء، وإن كنت في غنى عنها ، ولله الحمد والمنة لكن دار في خَلَدي أني مرغوب عني، وأنهم أجبروا عَلَيّ فلذلك صنعوا ما صنعوه، وأصعب شيء على المرء أن يشعر أنه مزهود فيه، وأنه يفرض نفسه فرضًا على أحد من الناس، لكن لم يكن لي بد من أن أستمر في التدريس حتى لا أنسى العلوم الشرعية.

والأعجب من ذلك أنهم قرروا سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م الاستغناء عني ثم إنهم لم يرسلوا لي خطاب اعتذار أو خطاب شكر، ولم يخبروني بعزمهم ذلك، إنما لم يتصل بي أحد ليبلغني بجدولي الجديد في بداية السنة فعلمت أنهم استغنوا عني !!والحمد لله تعالى على كل حال.

- هذا وقد درست في الجامعة مواد الثقافة الإسلامية لطلاب الطب

والهندسة والعلوم والاقتصاد.

- ودرست بعض مواد التخصص وهي القرآن والحديث (سبل السلام للإمام الصنعاني) ومادة دراسات نحوية في الكتاب والسنة، ومما أذكره في مدة التدريس تلك ما يلي:

١- ضعف الطلاب في قسم الدراسات الإسلامية ضعفًا مثيرًا للدهشة والتعجب، وقد كنت أعلم أن الطلاب الضعاف الذين لا ينالون درجات جيدة في الثانوية تضيق عليهم خيارات التعليم فلا يجدون إلا الأقسام المرغوب عنها ومنها قسم الدراسات الإسلامية!! لكني ما كنت أظن أن الضعف قد شملهم حتى استولى عليهم!!.

وقد عُهد إلي في أحد الفصول الدراسية تدريس مادة الحديث من كتاب «سبل السلام» للصنعاني[١] وكان عدد المسجلين في تلك المادة خمسة عشر طالبًا، فلما دخلوا إلى قاعة الدراسة عجبت منهم ومن هيئاتهم، التي لا تدل أبدًا على أنهم طلاب علم شرعي، فآثار التدخين ظاهرة على أفواههم وتفوح به رائحتهم!! وقد دخل بعضهم وهو

(١) هو السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح الكحلاني ثم الصنعاني. ولد سنة ١٠٩٩. ارتحل إلى الحرمين وأخذ عن العلماء هناك، ثم رجع إلى صنعاء وتفرد برئاسة العلوم. ادعى الاجتهاد ونفر من التقليد فجرت عليه محن. له مصنفات جليلة. توفى سنة ١١٨٢. رحمه الله تعالى. انظر (البدر الطالع):٢/١٣٣-١٣٩.



يتأبط الجرائد الرياضية فعلمت أنهم طلاب لم يجدوا مكانًا في كليات الجامعة فسجلوا في قسم الدراسات الإسلامية !!بل صرحوا بذلك، فقد قلت لهم مرةً لما ضجرت من عدم فهمهم وعدم تجاوبهم: ما الذي أتى بكم إلى هذا القسم؟!

فما راعني إلا أن قالوا: لم نجد مكانًا في الجامعة إلا في هذا القسم!!

فقلت لهم: إنكم تدرسون العلوم الشرعية، فإن لم تكونوا من أهل الديانة والتقوى فسيكون هذا العلم وبالاً عليكم، فبعد التخرج سيكون منكم قضاة وكُتاب عَدْل وأئمة مساجد ومدرسون فكيف ستفعلون بتلك الوظائف إذا لم تجمعوا إلى علمكم دينًا وتقى؟! ستكونون قضاة مرتَشين وكتاب عدل مرتشين، ومشايخ سوء، وقد ألجأوني لأن أقول لهم هذا لِما رأيت من قلة اكتراثهم بالتحصيل العلمي، ولما يلوح عليهم من سيماء عدم التدين.

ومن عادتي مع الطلاب أني أطلب منهم القراءة من الكتاب لأقف على مدى فهمهم وعلمهم، وكان الكتاب المقرر على أولئك الطلاب الذين بينت حالتهم آنفاً « سبل السلام » للإمام الصنعاني، فطلبت من أحدهم أن يقرأ فما إن قرأ حتى علمت قدر ما هو عليه من العلم والفهم، فقرأ: قال رسولِ الله!! فقلت له: رسولُ الله ، فأعادها:

رسولِ الله، فلما يئست من تقويم لسانه وتذليله بالضم قلت له: إن علماء اللغة يقولون إن الفتح أسهل الحركات، ويليه الضم، أما الكسر فهو أصعبها؛ لأن الإنسان إذا نطق به فإنه يضطر إلى خفض فكه وهذا منشأ الصعوبة ، لكنه لم يفهم ما قلته واستمر يقرأ: رسولِ الله طوال الفصل، وقرأ غيره من الطلاب قراءة يرثى لها، هذا وهم في السنة الثالثة ولم يبق لهم إلا سنة واحدة على الانتهاء!!

وبعد أن وقفت على ما معهم من العلم والفهم قلت لهم: إنه لا حاجة لكم بدراسة «سبل السلام» فهو لا يصلح لكم، وقررت عليهم بضعة أحاديث من الأربعين النووية، فهم لا يصلحون إلا لمثل هذا الكتاب الميسر.

- وفي مادة «دراسات نحوية في الكتاب والسنة» كنت أعلم الطلاب بعض قواعد النحو، فقلت لهم مرةً: إن اسم الإشارة إذا جاء بعده الاسم معرفًا بأل ولم يكتمل الكلام فإنه يعرب بدلاً، وأكدت لهم ذلك بالأمثلة العديدة، وكررت عليهم القاعدة نفسها مرارًا ، فما كان منهم في الاختبار إلا أن أجاب أكثرهم إجابة خاطئة!!

ولم يكن يُسَرِّي عني هموم التدريس لطلاب ضعاف إلا تدريس مادة الثقافة الإسلامية لطلاب الطب والهندسة والعلوم، فكنت ألقى

منهم فهمًا وتجاوبًا ونقاشًا علميًا موضوعيًا -في بعض الأحيان- وكان ذلك ينسيني همومي ويعيد إليّ الأمل.

ولا أدري والله متى سيتغير هذا الأمر المؤسف؛ ألا وهو قبول الطلاب الأقوياء في الكليات العلمية، وقبول الطلاب الضعاف في الكليات الأخرى ومنها كليات الشريعة والدعوة وأصول الدين واللغة العربية والتاريخ والجغرافيا؟! نعم إن هنالك طلابًا جيدين متميزين دراسيًّا وسلوكيًا في تلك الأقسام، لكنهم قلة بجوار الكثرة المتوسطة القدرات والضعيفة القدرات.

إننا بهذا نُخَرِّج أجيالاً من الشرعيين الضعاف في علمهم، وفي أحيان كثيرة ضعاف في سلوكهم والتزامهم بدينهم، وهذا يعود على المجتمع بأقبح العوائد؛ إذ سيكون من هؤلاء الطلابِ القضاةُ وكتاب العدل وأئمة المساجد ومدرسو المواد الشرعية في المدارس وغير ذلك، وهذا يعني أن هؤلاء هم الذين سيختلطون بالناس ويوجهونهم ويرشدونهم، ويحلون مشكلاتهم، فكيف يرشد من يحتاج إلى مرشد:

إذا كان الغراب دليل قوم ... دلهـــمُ عـــلى أرض الخـــراب

وهذا يفسر لنا ضعف الدعوة والإرشاد في كل المجتمعات الإسلامية لأن القائمين عليها من الموظفين هم -في أكثرهم- ضعاف في التحصيل العلمي، ولا هَمّ لهم دعويًا ولا إرشاديًّا.

وهذا الضعف الملازم لأكثر طلاب العلوم الشرعية واللغوية والاجتماعية له سبب ممتد إلى زمن محمد علي باشا حاكم مصر، ومصر هي الدولة العربية الكبرى التي كانت قدوة للبلاد العربية الأخرى في كثير من أمور الخير والشر، فما حدث في مصر منها قد تكرر بصورة أو بأخرى في أكثر البلاد العربية، ففي مقالة للأستاذ محمد الغباشي بيان واضح لأصل المشكلة، فقد قال:

«بدأت هذه الهجمة التغريبية الشرسة على نظام التعليم في العالم العربي الإسلامي في بداية القرن التاسع عشر، منذ تأسيس الدولة الحديثة في مصر في عهد محمد علي، والتي بدأها بسياسة الابتعاث التي اتبعها؛ بإرسال الطلاب الشبان غير المحصنين للتعلم في أوروبا- التي كانت موطناً للفتن والشهوات-وكان هذا أخطر ما فعله في الحقيقة؛ لأنه من هناك بدأ الخط العلماني يدخل ساحة التعليم، ومن ورائه ساحة الحياة في مصر الإسلامية ومن ورائها إلى بقية أركان الوطن العربي.

لقد اجتهد محمد علي بإنشاء المدارس المدنية – مما يعده البعض نهضة في التعليم المدني- إلا أن ذلك كان على حساب التعليم الديني والأزهري، فقد بلغ عدد المدارس الابتدائية التي أنشأها محمد علي ستًا وستين مدرسة، منها أربعون بالوجه البحري، وست وعشرون



مدرسة في الوجه القبلي، أما المدارس التخصصية أو العالية: فشملت مدارس للطب والهندسة والطب البيطري والزراعة واللغات ومدارس حربية للطوبجية والخيالة والبيادة، هذا إلى جانب مدارس للموسيقى والفنون والصناعات، وكان بالقطر المصري نحو عشرة آلاف تلميذ ينتظمون في هذه المدارس.

ومن أهم المدارس العالية التي أنشئت في هذا المضمار:

١- مدرسة الطب، وقد أنشأها محمد علي بناءً على مشورة من الطبيب الفرنسي كلوت بك الذي استقدمه محمد علي؛ ليكون طبيباً ورئيساً لجراحي الجيش المصري، فأشار على محمد علي بإنشاء مدرسة للطب يلتحق بها الطلبة المصريون، فتم إنشاؤها في عام ١٨٢٧م في أبي زعبل، كما أنشئت مدرسة ملحقة بها لتعليم اللغة الفرنسية، حيث كانت هيئة التدريس في مدرسة الطب تتكون من أساتذة فرنسيين وقلة من الإيطاليين.

٢- مدرسة الطب البيطري بدأت في رشيد عام ١٨٢٨م ثم ألحقت بعد سنتين بمدرسة الطب البشري في أبي زعبل، وكان مديرها فرنسيًا.

٣- المدارس الفنية: وتشمل المدارس الزراعية والهندسية؛ أما

المدارس الزراعية فكان أهمها مدرسة الزراعة بشبرا الخيمة، التي بدأت الدراسة بها عام ١٨٣٣م والمدرسة الزراعية بنبروة التي أنشئت عام ١٨٣٦. وكانت هيئة التدريس في هذه المدارس من أعضاء البعثة الزراعية الذين عادوا من أوروبا، ومنهم يوسف أفندي الذي تولى إدارة مدرسة نبروة الزراعية.

٤- وأما المدارس الهندسية: فقد عني بها محمد علي عناية خاصة، وكانت آخر مدرسة للهندسة أنشئت في عهد محمد علي هي: مدرسة بولاق عام ١٨٣٤م التي نظمت على نسق مدرسة الهندسة بباريس، ثم انضمت إليها مدرسة المهندسين بالقناطر الخيرية ومدرسة المعادن بمصر القديمة.

٥- المدارس الصناعية: وكان أهم هذه المدارس: مدرسة العمليات، أو الفنون والصنائع التي أنشئت عام ١٨٣٧م، بهدف تخريج الصناع المهرة، ومدرسة الكيمياء التي أنشئت في مصر القديمة لدراسة الصناعات الكيميائية، ومدرسة المعادن التي أنشئت في عام ١٨٣٤م لدراسة كل ما يتعلق بالصناعات المعدنية.

أما مدرسة الألسن فقد أمر محمد علي بإنشائها عام ١٨٣٥م باسم



مدرسة الترجمة، ثم تغير اسمها إلى مدرسة الألسن، ويعود إنشاؤها إلى اقتراح من رفاعة الطهطاوي الذي تولى إدارتها واختار للدراسة بها ثمانين طالباً، وعني فيها بتدريس اللغتين العربية والفرنسية، تليهما اللغة التركية والإنجليزية.

وقد أوجد هذا التعليم المدني ازدواجية في الثقافة والفكر في مصر، خاصة وأن محمد علي اختص خريجي المدارس الحديثة بالوظائف الحكومية والمناصب الرفيعة، في حين اقتصر دور خريجي الأزهر على الوظائف التعليمية التي صار ينظر إليها نظرة دونية، ولا تكفل لصاحبها ما تكفله الوظائف الحكومية من دخل.

وللقارئ أن يتخيل كل هذا الاهتمام الذي أولاه محمد علي للتعليم المدني الذي كان أغلب المدرسين به من الأجانب الفرنسيين والإيطاليين، في الوقت الذي كان الأزهر فيه يعاني من الإهمال، بل عمد محمد علي وأبناؤه من بعده إلى التقييد والتهميش المتعمد لدور الأزهر عن الحياة التعليمية والسياسية إلى أقصى حد؛ وذلك النهج تلخصه كلمة الخديوي عباس حلمي التي قال فيها محدداً دور الأزهر: «أول شيء أطلبه أنا وحكومتي أن يكون الهدوء سائداً في الأزهر والشغب بعيداً عنه، فلا يشتغل علماؤه وطلبته إلا بتلقي العلوم الدينية النافعة عن زيغ العقائد وشغب الأفكار، لأنه مدرسة دينية قبل كل

شيء.. إن كل ما يهم الحكومة من الأزهر استتباب الأمن فيه.. وأطلب منكم أيها العلماء أن تكونوا دائمًا بعيدين عن الشغب، وأن تحثوا إخوانكم العلماء وكذلك الطلبة على ذلك». مهدداً مَن يحاول بث الشغب بالأقوال أو بواسطة الجرائد والأخذ والرد فيها بالإبعاد عن الأزهر.

هكذا أرادت أسرة محمد علي أن يشتغل العلماء الذين هم عصب الأمة ومحركو دفتها: بتلقي العلوم الدينية النافعة وفقط، أما من تسول له نفسه أن يحيد عن ذلك النهج؛ فإن الإبعاد عن الأزهر هو مصيره المحتوم.

هكذا كان حال الأزهر، ولو كان في مكان محمد علي؛ قائد مسلم يبتغي أن ينهض بمصر على أسس إسلامية وقاعدة إسلامية فقد كان أمامه سبيل آخر أكثر نجاعة، هو النهوض بالأزهر-معقل العلم لا لمصر وحدها، بل للعالم الإسلامي كله-برده إلى الصورة الزراهية التي كانت عليها المعاهد الإسلامية في عصور النهضة، حيث كانت تعلم العلوم الشرعية والعلوم الدنيوية معاً، وكان يتخرج فيها الأطباء والمهندسون والرياضيون والفلكيون والكيميائيون المسلمون الذين علموا العلم لأوروبا في عصور الظلام الدامس التي كانت تعشيها[1].

---

(١) مقالة «تغريب التعليم: خط الهجوم الأول ضد الإسلام»: مقالة في الانترنت للأستاذ/ محمد



- ثم لما دخل الصليبيون مصر سنة ١٢٩٩/١٨٨٢ واحتلوها عينوا عليها شخصاً حاقداً ولقبوه بالمعتمد البريطاني، واسمه كرومر، فعين قسّاً يُدعى دنلوب في وزارة المعارف!! هذا وقد قال الأستاذ: محمد قطب - رحمه الله تعالى- مبيناً تلك الخطة الماكرة:

«تولى المستر دنلوب- القسيس الذي عينه كرومر مستشاراً لوزارة المعارف-مهام منصبه،وكان في يد سعادة المستشار-كما كانوا يسمونه - السلطة الفعلية الكاملة في وزارة المعارف المصرية الإسلامية!

وحين يكون القسيس على رأس السلطة في وزارة التعليم، فما الذي يتوقع أن يكون من أمر التعليم؟!

جاء دنلوب ليضرب الأزهر- موطن الخطر على كنيسة المسيح- ولكن بغير حماقة نابليون، وقد علم أن ضربه بتلك الحماقة كان سبباً في استثارة المسلمين.

ترك دنلوب الأزهر على ما هو عليه لم يتعرض له على الإطلاق، ولكنه- على الأسلوب البطئ الأكيد المفعول- فتح مدارس جديدة تعلم (العلوم الدنيوية) ولا تعلم الدين، إلا تعليماً هامشياً هو في ذاته-

---

الغباشي.

كما سيجيء- جزء من خطة إخراج المسلمين من الإسلام!

وقال الناس في بادئ الأمر- على البديهة، واستيحاء من البقية الباقية من الحس الإسلامي في قلوبهم- إن هذه المدارس مدارس كفر لأنها لا تعلم القرآن، إذ كانت المدارس الأولية التي تمهد لدخول الأزهر تعلم القرآن كله في سنوات الدراسة الأربع.

ولكن مدارس الكفر هذه أصبحت- بتدبير دنلوب- هي الوسيلة للرزق من ناحية، وللمكانة الاجتماعية من ناحية أخرى.

لقد كان المتخرج من هذه المدارس – بعد أربع سنوات فقط من الدراسة- يعين فور تخرجه في دواوين الحكومة براتب يبلغ أربعة جنيهات كاملة، كانت في ذلك الحين تمثل ثروة ضخمة، إذ كانت الأسعار زهيدة إلى حد لا يتصور بالنسبة للأسعار الحالية، وكانت القوة الشرائية للجنيه المصري عظيمة، بحيث كانت الجنيهات الأربعة تكفي للحياة الكريمة في العاصمة ذاتها، ويستطيع صاحبها أن يتزوج ويكون أسرة، ويتبقى معه بعد ذلك ما يدخره ليشتري به (الأطيان) في الريف! [1].

---

(١) قال الأستاذ: محمد قطب معلقاً: كانت (الفيلا) ذات الحديقة الواسعة في ضواحي القاهرة تؤجر بمائة وخمسين قرشا؛ وكانت أقة السكر (أي ما يوازي الكيلو وربع كيلو) تباع بقرشين ونصف القرش. وكانت عشر بيضات كبار بقرش واحد. وقس على ذلك بقية تكاليف الحياة!



أما خريج الأزهر الذي يقضي في الدراسة عشرين سنة من عمره في بعض الأحيان، فلا يجد عملاً. وإن وجد عملاً في إقامة الشعائر في المسجد فبمائة وعشرين قرشاً، تكفي للحياة نعم، ولكنها حياة ذليلة ضئيلة بالنسبة لخريج المدرسة الابتدائية الذي يعمل في (الديوان)!

وحين يكون الوضع على هذا النحو، ويكون لك ولد تريد تعليمه، فإلى أين تذهب به؟ تذهب به إلى الأزهر ليقضي زهرة شبابه هناك ثم يتخرج ليبقى عاطلاً، أو يعمل مقيم شعائر في المسجد بهذا الراتب الضئيل؟ أم تذهب به إلى مدارس دنلوب فيتخرج بعد أربع سنوات ليكون من المشار إليهم في المجتمع، من (موظفي الحكومة) الذين يتودد إليهم البقال والجزار وصاحب المسكن، ويحتلون المكانة المرموقة في كل مكان؟!

- كان الانتساب إلى الأزهر فيما مضى شرفا تتسابق إليه الأسر، وكانت الأسرة التي تحوي ضمن أفرادها (عالماً) أي واحداً من خريجي الأزهر، تصبح محط الأنظار، سواء في العاصمة أو في الأقاليم، وينظر إليها الناس بالتبجيل والإكبار، لأن العلم في حس الناس هو علم الدين، الذي هو خير الدنيا والآخرة، ولأن وظائف الدولة يحتل معظمها خريجو الأزهر، فينالون- في المجتمع الإسلامي- كل وسائل الرفعة والصعود.

- وبصرف النظر عما كان في الأزهر من تخلف عن المنهج الإسلامي الصحيح، الذي كانت تمثله جامعات الأندلس، بل كان يمثله الأزهر نفسه في عصور الازدهار، من الجمع بين علوم الدين والدنيا، وإعداد الناس لعمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني؛ فقد كان مرتبطاً في حس الناس بالإسلام، وكان رمزاً حياً له في ضمائرهم، ومن ثم كان اعتزازهم به، وتوجههم إليه ، وكانت لخريجيه تلك المكانة في المجتمع الإسلامي.

- فأما الآن- في عهد دنلوب- فقد تغير الحال تماماً.

لم يعد يذهب إلى الأزهر إلا الفقراء الذين يعجزون عن دفع مصروفات المدارس الحديثة، وفي الوقت ذاته ينالون جزاء فقرهم ضياعاً في المجتمع وهواناً فيه.

وقد تبعث بعض الأسر العريقة واحداً من أبنائها للأزهر من أجل البركة وابتغاء المكانة في الريف خاصة- كما صنعت أسرة مصطفى عبد الرازق مثلا- ولكن هؤلاء الأفراد القلائل من خريجي الأزهر من الأسر العريقة والثرية لم يكونوا لينفوا الصورة العامة التي صار الأزهر إليها، وهي أنه مأوى للفقراء العاجزون عن دفع تكاليف التعليم الحديث، العاجزين في الوقت ذاته عن نيل المكانة في المجتمع



الحديث.

أما خريجو المدارس الجديدة فأولئك هم الطبقة الجديدة في المجتمع، الطبقة الصاعدة، الذين يلوون ألسنتهم برطانة المستعمر، ويفاخرون بها، ويحتضنهم المستعمر من جانبه، ويؤدي عن طريقهم الدور المطلوب، البطيء الخطوات، الأكيد المفعول.

من هم أولئك الخريجون؟ ما ثقافتهم؟ ما وجهتهم؟ كيف نفذ بهم دنلوب أهدافه الصليبية التي انتدبه من أجلها كرومر، ومنحه من أجلها ما منحه من سلطان؟

فلننظر في المناهج التي وضعها دنلوب في مدارسه، ولنتخير من بينها أشدها خطراً وأبعدها أثراً: مناهج اللغة العربية، ومناهج الدين، ومناهج التاريخ.

فأما اللغة العربية- لغة القرآن الذي يحترق قلب الصليبية حقداً عليه- فقد خطط دنلوب لقتلها والقضاء عليها.

فقد كان الراتب الذي يتقاضاه المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا اثنى عشر جنيهاً إلا مدرس اللغة العربية وحده، يتقاضى أربعة جنيهات!

وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع على اتساعه! فأما في داخل المدرسة فلم يعد مدرس اللغة

العربية هو المقدم، بل أصبح في ذيل القافلة! يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذوو المؤهلات المتوسطة، بل يتقدمه – في الراتب – فراش المدرسة أحياناً إذا كان ذا أقدمية طويلة!! ومن ثم لم تعد له كلمة في المدرسة، فلا هو يستشار في شئونها، ولا هو يشارك في شيء من إدارتها، ولم يعد له كذلك عند التلاميذ احترام، ولولا العصا التي يحملها ويؤدب بها التلاميذ ما وقره أحد ولا عُمِل له حساب! بينما يحظى مدرس اللغة الإنجليزية بالذات بأكبر قدر من التوقير والاحترام!

أما في المجتمع الواسع فهو أشد ضياعا منه في المدرسة! فالناس جميعاً يعلمون وضعه المالي، ويعلمون أنه في ذيل القافلة، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب وفي الاحترام سواء! وإذا كانت العصا التي يحملها تخيف منه تلاميذه فيلتزمون بالأدب في درسه، فإن المجتمع في الخارج لا يخشى عصاه تلك، بل يتخذها مادة للتندر والهزء والاستخفاف، بينما العصا التي يحملها زميله مدرس اللغة الإنجليزية توفر له الاحترام داخل المدرسة، ولا تعيبه في المجتمع بشيء، إن لم توفر له المهابة والتقدير والتعظيم!

الناس من يلق خيراً قائلون له ... مـا يشـتهي ولأم المخطـئ الهبـل (١)

---

(١) البيت للمتنبي.



وهكذا ينحدر وضع مدرس اللغة العربية في المجتمع، بقدر ما ينحدر راتبه، ويصبح مادة دائمة للسخرية، يتحدث الناس عن جهله، وتخلفه، وضيق أفقه، وفقره، وانحطاط مستواه الاجتماعي والفكري، وأشد ما يعاب عليه، ويزدرى من أجله، أنه لا يعرف لغة أجنبية!!

وحين يصبح مدرس اللغة العربية في هذا الوضع المهين الذي لا يبعث على الاحترام، فإن وضعه يؤثر حتماً على المادة التي يدرسها. وقد كان هذا هو الهدف المقصود من وراء ذلك التدبير الخبيث.

لقد انتقل الوضع المهين المزدري من المدرس إلى المادة، وصارت اللغة العربية موضع الازدراء والتحقير والنفور، فالطلاب يشكون من صعوبة اللغة العربية نحواً وصرفاً وبلاغة ونصوصاً وأدباً. وقد ظلوا يعايشونها ثلاثة عشر قرناً قبل ذلك بلا شكوى! وكأنما اكتشفوا فجأة تلك الصعوبة التي تصرفهم عنها صرفاً!! وقد بدأوا يوازون بينها وبين اللغات الأجنبية- وبالذات الإنجليزية – ليجدوا أن اللغات الأجنبية أيسر- وبالذات الإنجليزية- في كل شيء! فهي لغات غير معربة، لا تحير القارئ بين الرفع والنصب والجر، ونحوها سهل، وهجاؤها سهل، وتراكيبها غير معقدة(١)!

(١) قال الأستاذ محمد قطب معلقاً: يعلم دارسوا اللغات الأجنبية (الحية) أن النحو والصرف في اللغة الفرنسية معقد أشد التعقيد، فتصريف الأفعال فيها يقع في ثلاث مجموعات على ثلاث صور مختلفة، ثم في كل مجموعة شواذ ينتسبون إليها ولكن لا يصرفون مثلها! ولكل

والخلاصة التي يصلون إليها أن العناية باللغة العربية غير واجبة، بل ربما كانت غير جائزة! بينما العناية باللغة الأجنبية- وبالذات الإنجليزية – واجبة كل الوجوب! وأصبح الطالب الذي وجه هذا التوجيه وطبع ذلك الطبع يخطئ في النحو العربي فينصب الفاعل ويرفع المفعول بلا تحرج ولا مبالاة، فإذا صُحح له خطؤه أو نُبه إليه هز كتفيه مستنكفاً وقال: يا عم! دعك من (الفقهنة)!هل أنا (فقي)!(١) بينما يحترز كل الاحتراز أن يخطئ في نطق كلمة من لغة أجنبية أو في تصريف فعل من أفعالها أو في صياغة تركيب من تراكيبها، وإذا وقع منه الخطأ صار سخرية المجلس كله ورمى بالجهل المعيب!!

والكتاب يشكون من جمود اللغة وعدم مرونتها وعدم طواعيتها، وعدم قدرتها على نقل المعاني (وظلال المعاني) كما تستطيع ذلك

فعل – أيا تكن المجموعة التي ينتسب إليها – ستة تصريفات مختلفة تمثل صيغ الزمن المختلفة (لا ثلاثة فقط كما هو في اللغة العربية: الماضي والمضارع والأمر) كما أن الهجاء فيها معقد ومخالف للمنطوق، فضلاً عن التأنيث والتذكير على غير منطق واضح. أما اللغة الإنجليزية فقد تكون أيسر من الفرنسية ظاهراً، ولكن التراكيب الاصطلاحية فيها (idioms) غير قياسية ولابد من حفظ كل واحد منها على حدة. وللأفعال فيها ست صيغ للزمن كما للفرنسية بدلا من الثلاث الصيغ العربية. والهجاء غير قياسي، وبالذات بالنسبة لمجموعة الحروف (O U G H) التي ترد على ستة أنحاء مختلفة في النطق مثل:

Enough, Dough, Cough, Thought, Thorough, Through

(١) كلمة (فقي) (وأصلها فقيه) تعني في المفهوم العامي المصري الرجل الذي يقرأ القرآن على المقابر لقاء دريهمات، وهو رجل يُستأجر لهذا الأمر، ولا احترام له عند الناس.



اللغات الأجنبية- وبالذات الإنجليزية!- في طلاقة ويسر ورشاقة وعمق! وكأنما الكتّاب لم يصحبوا هذه اللغة ثلاثة عشر قرنا من قبل ذلك، وعبرت عن خلجات نفوسهم كلها بغير عجز! وكأنما اكتشفوا قصورها فجأة وكانوا غافلين عنه.. فانصرفوا إلى دراسة آداب اللغات الأخرى وهجروا الأدب العربي! وأصبح المتنبي والبحتري أو علقمة وامرؤ القيس أسماء سخيفة ممجوجة تصم صاحبها لتوه بالتخلف العقلي والحضاري! وأصبح دانتي وشكسبير ووردزورث وبايرون وأندريه جيد وأناتول فرانس وفيكتور هوجو هي التي تتردد على ألسنة (المثقفين) للدلالة على أنهم مثقفون، ولو لم يكن لهم من حصيلتها إلا حفظ الأسماء!

و(العلماء).. أو بالأحرى مترجمو العلوم يشكون من أن اللغة العربية لغة غير علمية!! إن صلحت للأدب – أي الأدب الرديء!- فإنها لا تصلح للعلم، جامدة، معقدة، محدودة، متخلفة، ولابد من اتخاذ اللغات الأجنبية- وبالذات الإنجليزية! – لدراسة العلوم، ولابد أن نعلمها لأبنائنا في المدارس إذا أردنا أن يكون لدينا في يوم من الأيام علماء! وكأنما لم يكن لهذه اللغة صلة بالعلم من قبل- في عصور الازدهار- بل كأنها لم تكن في وقت من الأوقات هي لغة العلم، يوم قال روجر بيكون: من أراد أن يتعلم فليتعلم العربية، فهي لغة العلم!!

وهكذا صوبت السهام إلى اللغة العربية من كل جانب، ولم تعد شيئاً يعتز به المسلم العربي كما كان يعتز طيلة ثلاثة عشر قرناً من قبل، بل أصبحت معرة يسارع الإنسان إلى الانسلاخ منها، ويمعن في العيب فيها والانتقاد عليها لكي يصبح من (المثقفين)!

ولم يكن بد من أن ينتقل هذا الوضع المزري من اللغة ذاتها إلى ما هو مكتوب بتلك اللغة، وكان هذا هو الهدف الأخير المطلوب من ذلك التخطيط الخبيث!

فالمكتوب باللغة العربية هو تراث الأمة كله، وعلى رأسه القرآن!!

والمطلوب هو صرف الأمة عن تراثها كله، وعلى رأسه القرآن!![1].

وانصرف الناس بالفعل عن قرآنهم وتراثهم بالتدريج، فلم يعودوا يشعرون أنه هو (الزاد)، إنما الزاد هو المكتوب بلغة السادة الغالبين!

أما درس الدين في مناهج دنلوب فلا يقل سوءاً إن لم يكن أسوأ.

فمدرس الدين هو نفسه مدرس اللغة العربية الذي وضعه

---

(١) قال الأستاذ محمد قطب معلقاً: تم صرف المسلمين في تركيا عن تراثهم الإسلامي بتغيير الحروف العربية وكتابة اللغة التركية بالأحرف اللاتينية على يد أتاتورك. وتصفية اللغة التركية من معظم الكلمات العربية التي تتضمنها لتنشأ أجيال تعجز عجزاً كاملا عن الاتصال بتراثها الإسلامي، فتنقطع عنه وتنشأ بلا دين، وقد قامت في مصر محاولات مشابهة على يد عبد العزيز فهمي وغيره ولكنها ولدت ميتة ولم يقدر لها النجاح.

دنلوب في ذلك الوضع المزري المهين، ولكن يزيد عليه أن أكبر المدرسين سنا هو الذي يوكل إليه تدريس الدين بحجة إراحته من تعب تصحيح الدفاتر وحملها من المدرسة إلى البيت وبالعكس! ويزيد على ذلك أيضاً أن حصة الدين توضع في نهاية الجدول المدرسي.

فهي – في أغلب الأحيان- السابعة يوم السبت أو الخامسة يوم الخميس أو السادسة في بقية الأيام!

وفحوى ذلك أن التلاميذ يتلقون درس الدين وهم في حالة الضجر والإعياء في نهاية اليوم الدراسي، وهم ينتظرون دق الجرس لينفلتوا إلى الشوارع وإلى البيوت.

ويتلقونه من مدرس عجوز فانٍ يسعل ويتفل ويتحرك في تراخ ظاهر، فيقترن درس الدين في نفوسهم بالعجز والفناء والضجر والضيق والرغبة في الانفلات!

فوق أنه درس ميت في طريقة تدريسه، فهو مجموعة من النصوص تلقى لتحفظ حفظاً وتستظهر، بلا حركة ولا حياة ولا روح!

ولكي نعلم أنها خطة مقصودة لتنفير التلاميذ من درس الدين، ثم من الدين ذاته في النهاية- كتنفيرهم من اللغة العربية ومما هو مكتوب بها- فاعلم أن درس الدين المسيحي في المدارس التبشيرية – حتى التي تزعم أنها (علمانية) لا علاقة لها بالدين!، والتي يؤمها

التلاميذ (المسلمون) ويحضرون درس الدين- يقام في الصباح الباكر، والتلاميذ قادمون بنشاطهم كله وبِشْرِهم كله، ويقوم بتدريسه أشب المدرسين والمدرسات وأحبهم إلى قلوب التلاميذ! ولا يقام في فصل الدراسة حتى لا تكون له رتابة الدروس اليومية العادية، إنما يقام في كنيسة المدرسة! ويقام في وسط الأناشيد التي تتجاوب بها حناجر التلاميذ وقلوبهم، فيقترن درس الدين في نفوسهم بالفرحة والبهجة والنشاط والحركة والاستبشار بالحياة!

أضف إلى ذلك أن درس الدين في منهج دنلوب هو في الحقيقة رقعة في الثوب الدراسي غير متجانسة معه، إن لم نقل متنافرة معه! فهو ثوب (علماني) بحت، لا علاقة له بالدين على الإطلاق، على الطريقة الغربية اللادينية التي فصلت الدين عن العلم وفصلته عن الحياة.

فإذا جاء درس الدين ذكر الله ورسوله وذكر الدين والآخرة، ولكنه – حتى في أفضل أحواله- صوت ضعيف لا يكاد صداه يبلغ الآذان فضلاً عن القلوب. فإذا كان على حالته التي يلقى بها بالفعل، نصوصاً لا تشرح ولا تبث فيها الحياة، بل تستظهر استظهاراً بغير فهم، ويقوم بتدريسها ذلك العجوز الفاني الضعيف فقد خمد الصوت تماماً ولم يعد له أثر، بل صار له الأثر العكسي وهو التنفير من الدين، وذلك هو المطلوب!

ولكي تعلم أنها خطة مقصودة لتنفير التلاميذ من الدين، فلتعلم أن الدين في المدارس التبشيرية التي يؤمها التلاميذ المسلمون، لا يقتصر على ذلك الدرس – مع حيويته التي أشرنا إليها، وإحاطته بالفرح والنشاط والبهجة- بل هو (روح) تلقى إلى التلاميذ في كل مناسبة، في أثناء الدروس وأثناء اللعب وأثناء الوقوف في الصف وأثناء الانصراف إلى الفصول أو الانصراف من المدرسة، ومن ثم يكون ذا أثر عميق في نفوس التلاميذ، ولا يكون درس الدين المتخصص رقعة في الثوب، متنافرة معه وغير متناسقة، بل قطعة طبيعية من نسيج الثوب، متناسقة معه ومزينة له.

وزيادة في النكاية لدرس الدين فقد وضعه المنهج الدنلوبي ضمن (المواد الإضافية) التي تحذف في جدول الصيف المختصر، الذي يقتصر على (المواد الرئيسية) فيحذف منه الدين والرسم والأشغال اليدوية والألعاب الرياضية، وهكذا يصبح في حس التلاميذ مادة (هامشية) ليس لها اعتبار!.

وبهذا التدبير البطئ الأكيد المفعول تخرجت أجيال وراء أجيال لا تحس بأي توقير نحو الدين! (١).

- وبهذا التفصيل التاريخي المهم -على طوله- يفهم تماماً كيف

(١) واقعنا المعاصر، ٢١٧-٢٢٤.

سرى الضعف إلى الكليات الشرعية واللغوية والاجتماعية، وكيف أصبح خريجوها ضعافاً لا يحترمهم المجتمع – في الجملة- ولا يلقي لهم بالاً، ولا يكترث بهم.

- وهذه الصورة قد تحسنت عقب الصحوة الإسلامية المباركة، إلا أنها مازالت صادقة على كثير جداً من الخريجين خاصة في أقطار الإسلام التي هي معرضة لسهام أعداء الملة والدين، وعلى رأسها مصر والشام والعراق والمغرب العربي الكبير.

هذا وقد سعدت – في السنوات السبع التي قضيتها محاضرًا في جامعة الملك عبد العزيز- بثلة من الأساتذة الكرام، منهم الشيخ فاروق بطل، الداعية السوري المعروف، ومنهم الدكتور أحمد عبيد اللبناني، ومنهم الدكتور علي جابر إمام الحرم سابقًا، رحمه الله تعالى، ومنهم الدكتور عبد الرحمن بارود، الشاعر الحماسي الفلسطيني، رحمه الله تعالى، ومنهم الدكتور ناجي عجم السوري، رحمه الله تعالى، ومنهم الدكتور علي بادحدح الداعية المعروف، وغيرهم ، وكان التنوع في جنسيات المشايخ خيرًا للطلاب، فالطالب الذي يستقي من معين واحد يختلف عن الطالب الذي يستقي من مناهل عدة.

وقد غادرت القسم سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤ وكان فيه أقل من مائة طالب !! بعد أن كان يحوي طلابًا أكثر من أكبر كلية في الجامعة ما عدا



كلية الاقتصاد والإدارة، والسبب في هذا أن الوظائف أصبحت شحيحة بسبب كثرة المتخرجين من جامعات المملكة الشرعية، والأقسام الشرعية من الجامعات الأخرى، فعزف كثير من الطلاب عن هذا القسم: قسم الدراسات الإسلامية في جامعة الملك عبد العزيز، وهذا أمر محزن لكني لا أدري ما عليه الحال الآن في القسم.

ومن عجائب ما سمعته في قسم الدراسات الإسلامية ما قصه عليّ أستاذ كان رئيسًا للقسم، وكان من غير السعوديين فقال لي: اجتهدت أن أضع منهجًا كاملاً للدراسات العليا لتقديمه للجامعة ليقروا برنامج الدراسات العليا، وفعلاً وضعته وتعبت في إعداده، فلما عرضته على القسم عارضني أحد الأساتذة السعوديين معارضة كبيرة حتى أنه أفشل المشروع برمته، ثم إني انصرفت فأدركني عند المصعد فنزل معي، فقال لي: هل أنت جاد في عمل برنامج الدراسات العليا؟

فقلت له: نعم، وإذا أُقِرّ فإنه سيريح أبناءكم وبناتكم من الذهاب إلى مكة المكرمة للالتحاق بجامعة أم القرى، أو قصد أي جامعة من الجامعات الأخرى.

فقال لي: أنت غير سعودي فكيف تريد أن تحقق هذا الإنجاز المهم في زمن رئاستك للقسم؟ هذا لا يمكن أن يكون إلا إن كنت أنا رئيس القسم!!

فانظروا رعاكم الله -تعالى- كيف يفعل الحسد بصاحبه حتى حمله على إفشال مشروع مهم كان سيتحقق من ورائه خير كثير، وانظروا كيف نَفِسَ على رئيس القسم صنيعه لا لشيء إلا لأنه غير سعودي!! فنسأل الله -تعالى- العافية والسلامة.

- وقد دَرّست أيضًا طلاب الدراسات العليا الشرعية في فرع جامعة « العلوم والتكنولوجيا » اليمنية، في جدة ، درست الطلاب سنة واحدة وهي السنة المنهجية قبل بدئهم في تحضير الرسالة، وكانت المادة المقررة السيرة النبوية الشريفة المنيفة، وقد كنت آخذهم بالقوة والجد والاجتهاد، وكان بعض الطلاب يقول لي: لا وقت لديّ للدراسة وتحضير المطلوب من الأبحاث، فقلت له: ولماذا تحضر الماجستير؟ وبينت له ولأمثاله من الطلاب الذين يريدون التخفيف بحذف جزء من المنهج قائلاً:

إنكم تحضرون الماجستير ومن بعد ذلك الدكتوراه، فإن لم تجتهدوا وتَجِدّوا، وتأخذوا الأمر بقوة فإنكم ستكونون دكاترة ضعافًا، والدكتور هو مَن ملك مفاتح العلم واستغنى عن الإشراف والتوجيه المباشر، والدكتور هو المتخصص بل الذي انتهى إليه العلم بتخصصه، فكيف ستتصدرون غدًا ، وتلقبون بالدكتور، وتدور عليكم المجالس، وترمقكم الأعين إذا لم تجتهدوا الآن وتبذلوا جهدًا

مضاعفًا كبيرًا؟ ستكونون إذن دكاترة ضعافًا، ومحلاً لسخرية الناس واستهزائهم، فكان بعضهم يقتنع بهذا الإرشاد وبعضهم يتعلل بقلة الوقت المتاح ، فكنت أقول له ولأمثاله: إن الله تعالى لم يكلفك ما لا تطيقه فلا تكلف نفسك مالا تطيق ، وإذا لم يكن لديك فراغ للتحصيل فأولى لك ألا تسلك هذا الطريق، وضربت لهم أمثلة على دكاترة ضعاف كانوا وبالاً على العلم والتعليم.

- ودرّست سنة أخرى في معهد جامعة مكة المكرمة المفتوحة، في جدة، وكان الطلاب مقبلين -في أكثرهم- راغبين في طلب العلم وجادين، لكن آفتهم كانت كِبَر سن كثير منهم، ومن كان كذلك فهو في حاجة ماسِة لبذل جهد مضاعف كبير.

- الإشراف على الرسائل ومناقشتها:

أشرفت على عدة رسائل ماجستير، وناقشت عددًا آخر، وناقشت رسالة دكتوراه واحدة .

ومعظم الذين أشرفت عليهم أو ناقشتهم كانوا طلابًا في جامعة مكة المكرمة المفتوحة، وبعضهم كان من الجامعة الأمريكية المفتوحة في واشنطن، وهؤلاء الطلاب يقبلون لتحضير الماجستير دون أن يدرسوا سنةً منهجية، وهذا يصلح للمتميزين، أصحاب القدرات الذهنية العالية والجد والاجتهاد في طلب العلم، وأصحاب الخبرة

التي تعوض السنة المنهجية كأن تكون لهم مؤلفات معتبرة، أو تكون لهم سابقة في التعليم مُعَوِّضة، أما أن يحضر الطالب الرسالة بدون سنة منهجية - أو سنتين حسب الجامعات أو التخصص- وهو ضعيف أو متوسط القدرات فهذا يتعب المشرف والمناقشين، وتكون رسالته في الغالب بين المتوسطة والضعيفة.

فإن أصرت الجامعات على حذف السنة المنهجية فإني أرى أنه لابد للطالب من امتحان تحريري في مواد بعينها فإن اجتاز الاختبار فبها ونعمت وإلا فإنه لا بد له من دراسة هذه المواد، فمن ذلك مادة اللغة العربية مع التركيز على قواعد الإعراب والإملاء، ومادة «مناهج البحث»، وهذه مهمة جدًّا للباحثين، ويعاني كثير منهم بسبب عدم دراستها، ومادة ثالثة تختار من مواد التخصص، وأرى أن هذا حل وسط بين إلزام الطالب بسنة أو سنتين منهجيتين وقد لا يحتاجها، وبين حذف الدراسة المنهجية كليًا، والله تعالى أعلم.

ومما يستحق أن يذكر ها هنا من أحوال الطلاب في المناقشة ما يلي:

١-في إحدى المناقشات لبحث طالبة تقدمت لنيل رسالة الماجستير، وكنت المشرف عليها، كانت الطالبة منزعجة، وأذكر أنها كانت – غفر الله لها- قَلَّما تتقبل النقد من قِبَل



المناقشين!! فكانت تحاول الذب عن كل نقد موجه إلى بحثها، وحاول المناقشان إفهامها أن الأمر لا يعدوا اختلاف وجهات نظر يحتاج أحياناً إلى تصحيح لكن الطالبة كانت في غاية من التوتر غريبة، ولولا أني هدأتها مراراً، وقاطعتها مراراً، وأفهمتها مراراً أن هذه المناقشة من حق المناقشين لخرج الأمر عن طوره، فقد أظهر أحد المناقشَيْن انزعاجاً خفت معه أن يقطع المناقشة فتفسد الجلسة كلها! لكن الله - تعالى- سَلَّم وانتهت المناقشة العصيبة.

٢- وفي مناقشة أخرى لبحث طالب - وكنت مشرفاً عليه - أعياه الإجابة الواضحة عن أسئلة المناقشين فقد كان أعجمياً، وتعب المناقشان في إيصال المطلوب إليه، والطالب الأعجمي إذا لم يكن متميزاً في العربية، ومتميزاً في البحث العلمي فإنه يكون متعباً للمشرف وللمناقشين، والله المستعان.

٣- ومرة ناقشت رسالة دكتوراة لطالبة، وكانت تلك أول مناقشة لي لرسالة دكتوراة، فكنت حريصاً على إفادة الطالبة بكل ما أستطيع إفادتها بها من ملاحظات حتى كانت الجلسة، وكان الدكتور جعفر شيخ إدريس السوداني المعروف بعلمه

وتبحره حاضراً تلك الجلسة، فنصحني عقب الفراغ من المناقشة بأهمية التركيز على المفاصل الرئيسية للبحث، وجعل التفصيلات الأخرى - كالأخطاء النحوية والإملائية والأسلوبية- في ملحق يسلم للباحث، مع الإشارة إلى ذلك إشارة عابرة، فنفعني الله -تعالى- بما نصحني به جزاه الله خيراً.

٤- وأذكر مرة أنه عُهد إلي الإشراف على طالبة كانت تُحضِّر بحثاً في موضوع غاية في الدقة والقوة، فلما بدأت الإشراف وأرسلت لي الطالبة نماذج من بحثها أدركت أن الطالبة أضعف من أن تأتي على موضوع البحث على هيئة مقبولة، فطلبت من الطالبة أن تبحث عن مشرف غيري، وبينت لها بوضوح إني لا أرى لها الاستمرار في بحثها هذا فهو فوق طاقتها بكثير.

٥- وأشرف الآن على بحث لطالب مجدة في موضوع دقيق مهم ألا وهو (التوريث الدعوي عند الدكتور عبد الرحمن السميط) رحمه الله تعالى، الداعية الكويتي المشهور، وهو موضوع أثير لدي، قريب إلى قلبي، وذلك لأني أريد من الباحث في مرحلتي الماجستير والدكتوراة أن يبحث في



قضايا تهم أمته، ويستفيد منها فئام من الناس، سواء كان البحث متعلقاً بالمواد الشرعية أو اللغوية أو التاريخية أو الدعوية، فما الفائدة من بذل الجهد الكبير ثم تودع الرسالة في بطون المكتبات فلا يفرج عنها إلى الأبد؟!

ثم إن الباحث في مرحلة الماجستير والدكتوراة يكون حريصاً جداً على بذل غاية جهده في البحث والإتقان والضبط والإعداد، فينبغي الاستفادة من هذا الجهد على وجه جيد، وصدقوني إن الأكثرية الكاثرة من الباحثين لا يبذلون في بحوثهم عقب الدكتوراة عشر ما بذلوه من جهد قبلها، فإذا كان الأمر كذلك، وكانت صفوة الرسائل والبحوث هي ما يعده الطلاب في زمن الماجستير والدكتوراة فكان لزاماً توجيه الطلاب نحو الموضوعات التي يقع ببحثها نفع كبير ممتد عريض.

لكن المشكلة أن هنالك عقبات تحول بين الطلاب وبين تحقيق ذلك، منها عقبات سياسية ومنها عقبات علمية، فالجامعات مثلاً لا تقبل بحث الموضوعات التي تظن أنها ستجلب لها غضب السلطات، وبعض الجامعات لا ترضى موضوعات علمية تظن أنها لا تصلح لطلاب الماجستير والدكتوراة مع أنها عظيمة النفع، وذلك بأعذار مختلفة، وهكذا تصبح كثير من الرسائل ضعيفة الأثر والنفع.

وأكثر ما يؤلمني ما يسمى في عرف الطلاب (سفينة نوح) ومعنى ذلك أن طالباً من الطلاب يقع على مخطوط كبير فيشرك معه مجموعة من الطلاب عشرة مثلاً وأقل وأكثر ليحققوه، وفي هذا ضعف ظاهر ملابس لتلك الرسائل، إذ كيف سيدرس الطلاب المخطوط ومصنفه وعصره؟ فإما أن يحصل تداخل وتكرار، وإما أن ينفرد الطالب الأول بذلك، وفي كلا الأمرين محذور ظاهر، فلابد إذن من انفراد كل طالب بمخطوط، أما المخطوطات الكبرى المهمة فيعهد إلى طالب واحد تحقيق جزء منها، ومن ثم يُعهد إلى مركز علمي بتحقيق سائر المخطوط.



المبحث الرابع
التعليم في الجوامع

كنت قد ابتدأت التدريس في الجوامع ابتداء من سنة ١٤١٤هـ /١٩٩٤م، وذلك في جامع التعاون بحي الصفا بجدة، وكان الدرس في شرح كتاب «التحبير في علم التفسير» للإمام السيوطي(١) - رحمه الله تعالى- والكتاب ألفه الإمام في بداية حياته وعمره ثلاث وعشرون سنة، ويعد أصلاً لكتاب «الإتقان» الجليل، وهذا الكتاب موجز يناسب الطلاب، ولغته سهلة، ومعانيه قريبة، وعبارته موجزة.

وكان غالب الطلاب مبتدئين في طلب العلم فكنت أبذل جهدًا مضاعفًا لإيصال المعنى لهم خاصة في المباحث الصعبة الدقيقة الأصولية واللغوية.

---

(١) السيوطي هو الإمام جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن محمد. ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ ، ووجه أبوه لطلب العلم منذ نشأته فنبغ وحفظ القرآن قبل أن يتم ثماني سنين ، وحفظ عدة متون ، وارتحل طلبًا للعلم ، وأفتى وعمره اثنتان وعشرون سنة ، وله مصنفات كثيرة جدًّا ، توفي بالقاهرة سنة ٩١١ رحمه الله تعالى. انظر « حسن المحاضرة »: ١/٣٣٦ وما بعدها و « شذرات الذهب »: ٨/٥١ وما بعدها ، وانظر في معاركه الأدبية والفكرية الكثيرة مع أهل عصره « الضوء اللامع »: ٤/٦٥ - ٧٠ ، و « البدر الطالع »: ١/٣٣٢ - ٣٣٤ ، و« شرح مقامات السيوطي » ؛ ففيها جملة وافرة من تلك المعارك.



فأما عدد الطلاب فقد كان مناسبًا ليس بالكثير ولا بالقليل، بل هو عدد متوسط قد يكون خمسين طالبًا - فيما أذكر الآن- وهذا العدد جيد لاستيعاب الطلاب والإجابة على أسئلتهم والعناية بإيصال المعنى إليهم.

ثم بعد الفراغ من هذا الدرس ابتدأت – في الجامع نفسه- درسًا آخر وهو شرح المقدمات العشر التي ابتدأ بها الشيخ الطاهر بن عاشور[1] كتابه العظيم «التحرير والتنوير»، الذي لا أتحرج في إطلاق أنه أعظم كتاب في التفسير صنف في ستة القرون الأخيرة، وقد حشد فيه الشيخ خلاصات من كثير من كتب التفسير لكنه رجح بينها على وجه جليل، وخرج بالرأي الذي يميل إليه، وغالبًا ما يكون هو الصواب.

ثم إن الكتاب كتب بأسلوب جليل جزل رصين حتى أنه ليخيل للقارئ أن مؤلفه من القرون التي كان فيها للعربية صولة، وللأسلوب رصانة، وللمعاني جزالة، وللنثر حلاوة ورونق وطلاوة.

وإذا علمنا أن الشيخ أملاه على طلابه فسيزداد إعجابنا وعجبنا،

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وُلِدَ سنة ١٢٩٦هـ بتونس، وعين عام ١٩٣٢م شيخًا للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنفات مطبوعة متداولة ومقالات كثيرة في المجلات، توفي بتونس سنة ١٣٩٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: «الأعلام»: ٦/١٧٤.

وذلك أن المرء -عادة- تكون كتابته أجود من تقريره، فإذا كان إملاؤه هكذا فكيف لو كتب، رحمه الله تعالى؟!

- أما المقدمات العشر فقد صدر بها الشيخ الطاهر كتابه، وجعلها مدخلاً إليه، وفيها علم جم راق، ونظر فسيح، ونتاج عقل فاحص غواص، وقد احتجت إلى قراءة بعض ما في تلك المقدمات على شيخي الدكتور عبد الله بن بيه حفظه الله تعالى ورده إلينا سريعًا، فكان يفهمنيها، ويبين لي مرادات الشيخ منها، خاصة المصطلحات البلاغية المغربية، ولما قرأها عليّ الطلاب وجدوا صعوبة في فهم عدد من مباحثها لكن الله تعالى يسّر الفراغ منها.

- وقد سُجل الدرسان، وهما الآن ينقلان إلى الورق تمهيدًا للنظر فيهما وإعدادهما للطبع، ولي في هذا العمل- أي نقل الكلام المسجل إلى الورق ليكون كتابًا- نظر هو التالي:

١- إن الدرسين قديمان مضى على فراغي من الأول منهما حوالي ربع قرن، وفي أثناء تلك المدة الطويلة يكتسب المرء معارف، وعلومًا، ويقف على أمور كثيرة كان يجهلها، وبمعنى آخر إن الدرسين لا يعبران عما اكتسبته من علوم ومعارف بعد تلك المدة الطويلة، فلذلك قد لا أرتضي الآن بعض ما ورد فيهما من تقريرات علمية

قررتها على الطلاب منذ زمن بعيد.

٢- إن نقل الدروس المسموعة إلى مادة مكتوبة مفتقر إلى تصحيح كثير، وعمل يعتريه صداع طويل، إذ لا بد من التخلص من اللوازم الكلامية، والمعايب اللفظية مثل: يعني ، وفي الحقيقة، ولا بد كذلك من تعديل السياق الركيك والألفاظ الضعيفة، ولا بد من التخلص من التكرار المعيب، ولا بد من التخلص من الأخطاء العلمية التي وقعت فيها أثناء الشرح أو التعليق عليها، ولا بد من تخريج الأحاديث والآثار، وشرح بعض العبارات والمصطلحات، وكل ذلك هو حجر عثرة أمام هذا الصنيع، وأصدقكم القول أني لم أكن أفكر في هذا الصنيع ولا التورط فيه لولا أن امرأة فاضلة، من طلبة العلم في قطر، وهي الشيخة كاملة الكواري -حفظها الله تعالى ونفع بها- تولت كِبْر هذا العمل، وعُظم هذا الصنيع، فقامت بنقل ما في الأشرطة إلى أوراق، وخرجت الأحاديث والآثار، وشرحت الغامض من المصطلحات والعبارات، فلم يبق علي إلا تصحيح المتن بحذف ما ينبغي حذفه -كما بينت آنفًا- وهذا العمل ، على أنه يبدو يسيرًا، هو الشق الأصعب، والصنيع الأعسر، لكن ينبغي لي أن أحمد الله تعالى كثيرًا أن سخر لي هذه المرأة الفاضلة التي قربت لي البعيد، وسهلت علي الصعب، وأراحتني من عمل كثير، فجزاها

الله تعالى عني خير الجزاء.

- ومن الدروس المسجدية كذلك شرح مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في أصول التفسير، شرحتها للطلبة في دورة جامع الملك سعود العلمية الشرعية في جدة، وهذه الدورة يقوم عليها كل عام شيخ فاضل ، أحسبه من العاملين المخلصين، وهو الشيخ الدكتور أحمد الحمدان -حفظه الله تعالى وعجل شفاءه- وقد استفاد منها طلبة علم كُثُر، وامتدت سنوات طوالاً، وما زالت إلى يوم الناس هذا ينتفع بها، ولله الحمد والمنة.

وأما هذه المقدمة فهي موجزة جامعة، ساق فيها شيخ الإسلام أصولاً للتفسير كثيرة بأوجز عبارة، وبأقل إشارة، وقد شرحها جمع من العلماء، والمشايخ وطلبة العلم، ونفع الله تعالى بها.

أما الدرسان آنفا الذكر في شرح التحبير وشرح المقدمات العشر فلم أقف على أحد شرحهما من قبل شرحي ولا أظن أن أحدًا فعل هذا إلى يوم الناس هذا، والحمد لله رب العالمين على نعمائه، والشكر له على آلائه.

وقد حضر ذينك الشرحين في جامع التعاون طلبة لا يزيدون على الخمسين - فيما أذكر الآن- ذكورًا وإناثًا، وأما من حضر شرح مقدمة شيخ الإسلام فقد كانوا بضع مئات ذكورًا وإناثًا، وهذا أمر طبيعي فدورة الملك سعود يتناوب على إلقاء الدروس فيها عدد من كبار



المشايخ وطلبة العلم، وفيها تسهيلات جليلة للطلاب من المبيت والطعام والمواصلات، ولها سمعة جيدة.

- وقد ابتدأت درسًا في التفسير في جامع التعاون، وبقيت فيه قرابة عشر سنين، وكان التفسير جله من كتابين هما «التحرير والتنوير» للطاهر بن عاشور، و«في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب - رحمة الله تعالى عليهما - وربما استعنت ببعض كتب التفسير الأخرى، ومن طريقتي في تفسير الآيات أني ألقي المعاني إلقاء دون الرجوع إلى كتاب ، وهذا أوفق للناس فهم في جلهم عوام وليسوا طلبة علم.

وبقيت سنوات عدة في هذا الدرس ثم انقطعت لأمور، وعسى الله -تعالى- أن ييسر العودة إلى هذا الدرس فقد كان فيه فوائد لي من حيث المراجعة للعلوم، والوقوف على معانٍ جديدة في التفسير لم أقف عليها من قبل؛ ذلك أن الذي يُحَضِّر لدرس التفسير يكون أحرص على استيعاب المعاني والمسائل في الآيات الكريمات من الذي يقرأه لنفسه.

ثم إنه كان عقب كل درس أسئلة بعضها في التفسير، وأكثرها في أحوال المجتمع وما يطرأ من أمور في البلاد العربية والإسلامية.

جامع ابن حِمْد بجدة:

أما جامع ابن حِمْد فقد خصصته بتعليم الناس سِيَر بعض عظماء

المِلة وكبراء الأمة منذ زمن التابعين - رحمهم الله تعالى- إلى زماننا هذا، فأتيت على أعلام كُثُر، وكان في ذلك خير كثير - بفضل الله تعالى- ذلك لأن قناة اقرأ سجلت تلك الدروس، وبثتها في القناة الفضائية، ثم أعادت بثها مترجمة، فكانت تلك الحلقات سببًا في معرفة الناس بي، وقد سمعت من أناس كثيرين مدى استفادتهم منها، فلله الحمد والمنة، وسيأتي تفصيل لهذا في مبحث الإعلام.

جامع الأمير أحمد في مكة:

وقد ابتدأت فيه درسًا لشرح كتاب «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد - صلى الله عليه وآله وسلم -» ومؤلفه الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي تلميذ الإمام السيوطي، وقد توفي سنة ٩٤٢.

والكتاب جليل، واسع جدًّا، مليء بالآثار والأخبار، لكن المصنف جمع فيه الصحيح والحسن والضعيف والموضوع، وقد ابتدأت في شرح الكتاب، لكن لما مضت بضعة أسابيع بدا لي أن أوقف الدرس لعدة أسباب، والله -تعالى- المستعان، وعليه التكلان.



المبحث الخامس

رحلتي في الإعلام

كانت قناة اقرأ أول قناة فضائية إسلامية، وقد ابتدأ بثها سنة ١٤١٧هـ /١٩٩٦م فيما أذكر الآن، فكان أول ظهور لي في وسائل إعلامية عبر تلك القناة، فقد اتصل بي شيخي وأستاذي في السنة المنهجية في جامعة أم القرى فضيلة الأستاذ الدكتور سليمان الصادق البيرة الليبي وطلب مني أن أصحبه في ندوة في ليلة من ليالي رمضان بمناسبة غزوة بدر فشرفت بصحبته وكان معنا ثالث لا أذكره الآن، فكان ذلك أول ظهور لي.

ثم في السنة التي تليها جاءني أحد إخواني في الله -تعالى- وذكر لي إن التلفزيون السعودي كلفه بإعداد ثلاثين حلقة لشهر رمضان بعنوان «في رياض القرآن» وعهد إليّ بالإعداد العلمي للحلقات، وكذلك الاتفاق مع المشايخ، فجمعت لتلك الحلقات الثلاثين ثلة كبيرة من أهل العلم والفضل من المشايخ، وكان جلهم من داخل البلاد، وبعضهم من خارجها، وصُورت تلك الحلقات الثلاثون في مكة المكرمة والمدينة النبوية المنورة، على ساكنها - أفضل الصلاة والسلام



- وسُجلت الحلقات بفضل الله تعالى، وكانت على هيئة ندوات تضم اثنين وثلاثة من المشايخ، إضافة إلى المقدم، فشاركت في عدد من تلك الحلقات مقدمًا، وفي عدد آخر مشاركًا، ومن اللطائف التي لا أنساها أن الشيخ الفاضل محمد الراوي المصري شارك معنا في تلك الحلقات ، وكان لمشاركته أثر جيد فهو قوي العبارة، حسن الإلقاء، فجاء من مصر واستقبله أحد المشرفين على البرنامج، وأسكنه في فندق « أجياد» في مكة المكرمة، وفي صباح اليوم التالي لوصوله قابلته في «الاستوديو» فوجدته ثائرًا غاضبًا، وكان لي من غضبه نصيب، فقلت له ما الذي أغضبك؟

فقال: بالذمة: لو رقّاصة تعملون معها هكذا؟!!

فقلت له متعجبًا: ماذا حصل؟

فقال: تأخر عليّ مَن أرسلتموه ليحضرني من المطار، وأسكنني في فندق سيئ .

فقلت له: لكنني اشترطت لإسكان المشايخ القادمين من الخارج فندقًا من الدرجة الأولى.

فذهبت وبحثت فإذا في مكة فندقان باسم أجياد، وإذا بالأخ قد أسكنه في الفندق الآخر الذي كان أقل بكثير من الفندق المعد لإسكان المشايخ خطأ منه وخلطًا بين الاسمين.

فما كان مني إلا أن هَدّأت من غضبه وأخبرته بالخطأ الذي لا يد لي فيه، فأنا مسئول عن الإعداد العلمي للحلقات والمشاركة في بعضها فقط، فهدأ -رحمه الله تعالى- وأخذ في مباسطتي، وذهب عنه ما كان يجده في صدره علي، ونُقل بعد ذلك إلى الفندق الآخر.

- وقد حصل لي موقف ساءني مع أحد الأساتذة « البروفيسورات » من جامعة أم القرى، فقد جلست معه من أجل إعداد الحلقات التي سيشارك فيها، فسألته: ما الموضوع الذي تود المشاركة فيه؟ فأجابني بزهو لا يليق بمثله: لا يهم فأنا قادر على طرح أي موضوع مهما كان، فإن الذي يصل لدرجة الأستاذية قادر على طرح أي موضوع بدون تحضير!!! فساءني منه هذا القول لسببين:
- الأول أنه قاله بزهو واضح لا يليق بالأستاذ الشرعي.
- والآخر: أن هذا التقرير الذي قرره غير صحيح، فما من إنسان يقوى على المشاركة في إلقاء كل الموضوعات بدون أن يعرف مسبقًا ما هي ويعد لها الإعداد المناسب، فلربما يكون قادرًا على طرح موضوع أو أكثر بدون تحضير لكن أن يكون قادرًا على طرح كل الموضوعات بدون تحضير فهذا بعيد.

- ثم توالت المشاركات الإعلامية في التلفزيون السعودي ، وذلك في ندوات طُلب مني إعدادها وتقديمها في موضوعات شتى، وكنت كذلك أدعى في مناسبات عديدة كرمضان والحج لتسجيل

كلمات قصيرة تليق بتلك المناسبات، وسجلت للتلفزيون ثلاثين حلقة في «أسباب النزول» على أن تبث في رمضان، لكن بُثت منها حلقة واحدة فقط ثم توقفت، وقيل لي في سبب إيقافها أنها تتعارض في وقتها مع برنامج لأحد أعضاء هيئة كبار العلماء، ثم إنهم لم يبثوها في أي وقت آخر، ولا أدري لماذا.

- لكن الأمر الذي يستحق الذكر هاهنا هو الحلقات التي ألقيتها في جامع ابن حمد بجدة وصورتها قناة اقرأ وبثتها بعد ذلك بالعربية ومترجمةً إلى الإنجليزية، وكان موضوع تلك الحلقات : أعلام المسلمين، منذ زمن التابعين إلى زماننا هذا، وكان من وراء ذلك خير كثير ولله الحمد والمنة، إذ بتلك الحلقات عرفني جمهور من الناس في داخل البلاد وخارجها، وخاصة مصر وبلاد المغرب العربي الكبير، وكنت حريصًا على سرد حياة العلم مازجًا ذلك بالعبر والعظات، رابطًا - ما استطعت- جوانب من حياته بجوانب من حياتنا، مقارنًا بيننا وبينهم، محفزًا للسامعين أن يتشبهوا بسِيَرهم وسيْرهم.

- وما أحسن سيرة أعلامنا الكبار، وما أقوى تأثيرها على النفوس، وما أعظم ما صنعوه وتركوه من آثار لكن الذي يحز في الصدور أنهم اليوم لا يُتخذون قدوات، بل لا يعرف أكثَرهم الكثرةُ الكاثرة من الناس، والسبب أنهم لم يُنَصّبوا قدوات، وجفاهم

الإعلام والمناهج الدراسية حتى جهلهم أكثر الناس، وما أسوأ ما صنعنا يقدواتنا من عقوق، وانظروا إلى أمم الأرض كيف تمجد قدواتها، وترفع من خسيستهم، وانظروا إلى أمتنا كيف تتجاهل قدواتنا وتعرض عن ذكرهم وعن عرض سيرهم على الناشئة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

- هذا ولم أجد في باب تقويم النفوس، وأخذها بالجد والاجتهاد، والتضحية والبذل والعطاء مثل قراءة سير عظمائنا وأبطالنا، وعبادنا وزهادنا، ومجاهدينا وشجعاننا، لكن الآفة هي السد المنيع الذي أقيم بين سيرهم وبين الأجيال الناشئة.
- وقد اطلع على تلك الحلقات كثيرون وأخبروني باستفادتهم منها، ولله الحمد والمنة.
- **وإليكم القنوات الفضائية التي شاركت فيها، والموضوعات التي ألقيتها:**

١- قناة اقرأ:

وقد بثت حلقات العظماء، كما بثت حلقات «الحملة الإنجليزية على مصر»، وقد بثت زمن ثورة ٢٥ يناير في مصر، و« الحملة الفرنسية على الجزائر»، ولها قصة سترد بعد قليل، إن شاء الله تعالى.

وقد بثت قناة اقرأ حلقات « شبهات حول الإسلام »، وحلقات

أخرى متنوعة.

٢- قناة الحوار في لندن:

وقد سجلوا لي حلقات «الحملة الفرنسية على الجزائر» ٧٤ حلقة، فلما بثوا الحلقة ١٣ اتصل بي مدير القناة الأستاذ عبد الرحمن أبودية وقال: إن هيئة الإعلام البريطانية أو ما -شابهها- اتصلت بالقناة وخيرتها بين استمرار بث الحلقات وبين البقاء في قمر الهوت بيرد الأوروبي «HOT BIRD» واعتلوا بأن هذه الحلقات تؤثر على العلاقات مع فرنسا وترسم صورة سيئة عنها!!! واعتذر لي أنه لا يمكن له أن يستمر في بث الحلقات حتى يحافظ على بث القناة من القمر الأوروبي ، فاعجبوا من ديمقراطيتهم، ومدى صدق حرية التعبير التي يتشدقون بها ليل نهار، فما كان مني إلا أن عذرته، وتوجهت إلى مدير قناة اقرأ الأستاذ محمد سلّام وشرحت له الأمر، واتفقت معه على أن يبث الحلقات من قناته ٤ مرات أسبوعيًّا لننتهي منها بسرعة قبل أن يتفطن الفرنسيون لها، وفعلاً بثها -جزاه الله تعالى خيرًا- على مدار ٤ أشهر ونصف تقريبًا حتى فُرغ منها، وكان لها أثر جيد، ولله الحمد والمنة.

وكذلك بثت قناة الحوار الحملة الفرنسية على مصر في عشر حلقات .

٣- قناة « دليل »:

وقد بثت حلقات «شخصيات مصرية» في خمسين بل تزيد، و «شخصيات عثمانية» في أكثر من ثلاثين حلقة، وبثت كذلك حلقات «شخصيات أندلسية» في ٣٠ حلقة.

وقد توقف بث هذه القناة لضعف الموارد، فيما قيل، والله تعالى هو المستعان في تقوية القنوات الفضائية الإسلامية التي صار أكثرها بين خياري الإغلاق أو البث الضعيف التأثير.

٤- قناة إنسان التونسية:

وقد بثت حلقات «شخصيات تونسية» في ثلاثين حلقة .

وهي قناة ناشئة، فيها خير كثير إن شاء الله -تعالى- لكنها ضعيفة الموارد، وشأنها شأن غالب القنوات الفضائية الإسلامية للأسف، وهذا يجعل إنتاجها- في كثير من الأحيان- ضعيفاً فقيراً إلى الجذب و التشويق اللازمين في العمل الإعلامي.

٥- قناة بغداد:

وقد بثت حلقات «منائر من أرض السواد: شخصيات عراقية» في ثلاثين حلقة.

وقد توقفت قناة بغداد، وهي القناة العراقية السنية الوحيدة، بينما

القنوات الشيعية الفارسية والعربية كثيرة جداً، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فأين أهل الخير والبذل؟.

٦- قناة «دعوة» المصرية:

وقد بثت حلقات «كن داعيًا» في ٣٠ حلقة.

وهي قناة ناشئة حديثة التكوين، فعسى أن تستطيع الوقوف على قدميها وتجاوز المرحلة الأولى التي تعجز عن تجاوزها كثير من القنوات الفضائية الإسلامية.

٧- قناة «أهل القرآن»:

وقد بثت لي بضع حلقات في موضوعات متعددة.

٨- قناة طيبة السودانية:

وقد بثت لي ثلاث حلقات في الذكريات.

٩- قناة الفجر الفضائية:

وقد بثت لي حلقات كثيرة باسم «فتاوى القرآن العظيم».

وقد توقفت هذه القناة أيضاً بعد أن حصل من ورائها خير كثير، وسب توقفها هو تورط القناة في موضوعات سياسية لم يكن من المناسب التورط فيها، ومن تكلم في غير فنه أتى بالعجائب.

١٠- قناة الرسالة:

وقد شاركت فيها بحلقات، لكني لم أعد أذكر موضوعها.

والطريف أن قناةً ما ساءها مشاركتي في قناة الرسالة، فطلب المدير لقائي وبين لي أنه إما أن أشارك معهم أو أن أشارك في قناة الرسالة!! وهذا عجيب؛ إذ لا ينبغي للتنافس بين القنوات أن يصل إلى هذا الحد.

١١- وقد أعادت قنوات عديدة بث حلقات كثيرة مما ذكرته آنفًا.

١٢-قناة الناس:

وقد شاركت في عدد من الحلقات بثتها تلك القناة المصرية، وكانت في معظمها ندوات، وكان التسجيل في القاهرة، وكان من عجائب تلك القناة التي تفردت بها- فيما أعلم- أنها تبث أكثر برامجها على الهواء أكثر من ثماني عشرة ساعة!! وذلك لأن موقع القناة كان داخل مدينة الإنتاج الإعلامي في القاهرة، فكان من السهل عليها تقنياً ومادياً طول البث على على الهواء.

ومن الطرائف التي حدثت لي في القناة، وأستجيز ذكرها الآن لأن القناة انتهت بقرار من انقلابيي العسكر في مصر ولم يعد لها وجود:

جئتهم مرة لندوة يريدون عقدها على الهواء، وكنا ثلاثة: ضيفين ومقدماً، فما راع المقدمَ إلا قدوم ضيفين آخرين دُعيا من قِبَل جهة



أخرى في القناة، فما كان منها إلا أن طلبت أن نكون خمسة في الندوة!! لئلا يغضب الضيفان إذا اعُتذر إليهما، فحُشرنا حشراً على المقاعد، وكان الوقت شتاءً قارصاً، والأستوديو ليس فيه تكييف للهواء، وكان من نصيبي أني وقعت بين اثنين من الضيوف فلم يكن عندي شيء أتكئ عليه، وطلبت ماء وشيئاً ساخناً لأشربه فلم يكن حاضراً لديهم، فبقيت ساعتين كاملتين على هذه الهيئة، وتصوروا كيف تمتد الندوة على الهواء إلى ساعتين كاملتين!!

وقد تكرر هذا الأمر أي حضور ضيوف متعددين للحلقة نفسها خطأ أكثر من مرة، وهذا عجيب.

- ومن اللطائف أني أحضر عندهم في كثير من الأحيان بدون أن يخبرني المقدم أو القناة عن الموضوع المراد طرحه، وبدون إعداد مسبق تبعاً لذلك، فيستشيرني المقدم في دقائق سريعة قبل ابتداء البث في المحاور والعناصر التي ينبغي طرحها، وهذه العشوائية- إن صح التعبير- تكررت كثيراً.

الفهرست

الآن بالمكتبات



١- رحلتي مع القراءة ٢- رحلتي في طلب العلم ٣- رحلتي مع التأليف



٤- التعليم والإعلام ٥- مذكرات طيار





